ظواهر لغوية

من

المسيرة التاريخية للغة العربية قبل الإسلام

تأليف
الدكتور عبد العال سالم مكرم
الأستاذ بجامعة الكويت

الطبعة الأولى

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ - ص.ب ٧٤٦٠ برقيا: بيوشران

ظواهر لغوية

من

المسيرة التاريخية للغة العربية قبل الإسلام

تأليف
الدكتور عبد العال سالم مكرم
الأستاذ بجامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخّص البحث

في قراءتي الشّعر الجاهلي لفت نظري أن كلمة «عرب» بالمعنى القوميّ ليس لها شاهد واحد من هذا الشعر يدلّ عليها.

وكان هذا - بحق - أمراً عجيباً؛ لهذا حاولت أن أمضي فترة من الزمن في العصر الجاهليّ قارئاً باحثاً حتى تكاملت لديّ خطوط عريضة لهذا العصر في ساحة اللغة العربيّة كانت سبباً في ولادة هذا البحث.

ومع أنه وليد صغير، فقد وصلت مَن خلاله إلى جملة قضايا:

من هذه القضايا: دلالة كلمة عرب من الوجهة التاريخية واللغوية.

وبعد مناقشة لهذه القضية استطعت أن أصل إلى نصوص تثبت أن كلمة عرب في العصر الجاهلي تحمل في دلالتها بعد البحث والتحليل معنى القوم أو الجنس مع أن بعض الباحثين ينكر هذا المعنى الدلالي.

ومن هذه القضايا: اختلاف اللهجات العربية قبل الإسلام، والعوامل التي أدّت إلى هذا الاختلاف، وقدّمت نماذج مختلفة من الظواهر اللغوية بين هذه اللهجات من حيث الدّلالة، والصيّغ، والوقف والإدغام في ضوء القرآن الكريم، وضوء ما سمع من كلام العرب.

ومن هـذه القضايا: بعض الظواهـر التركيبيـة أو النحويـة التي اختلفت فيهـا اللهجات العـربية، نـاقشت هذه الـظواهـر، وبينت أنهـا ظـواهـر قليلة لا تؤدي إلى استقلال اللهجة في هـذه الظواهـر، لأن العلاقـة اللغويـة والنحويـة بين اللهجات المختلفة علاقة وثيقة لا تؤدي إلى انفصام عُرى التلاحم بينها.

وختمت البحث بظاهـرة التقـارض اللّغـوي والنحـوي مبيناً أن هـذه الظاهرة كانت حركة جادّة بين اللهجـات المختلفة تعمـل باستمـرار على وحدة اللغة العربيّة التي تكاملت في اللغـة الأدبية النمـوذجية قبـل الإسلام، لتكون مؤهلة لاستقبال القرآن الكريم.

عبد العال سالم مكرم

الكويت في ١٨ من شوال ١٩٨٨ هـ

الموافق ٢ من يونيو ١٩٨٨م ١٤٠٨ هـ

لسان العرب

الفصـــل الأوّل
الدلالة التاريخية واللغوية لكلمة: عرب

حينما نصف النحو أو اللغة بكلمة «عربيّ» في قولنا: النّحو العربيّ أو بكلمة «عربيّة» في قولنا: اللّغة العربيّة يتبادر إلى ذهننا من أول وهلة سؤال يراود أفكارنا وهو: ما معنى كلمة عرب؟ ما أصلها؟ ما دلالتها؟ كيف نشأت؟ كيف تطوّرت؟ ومن طبيعة الباحث اللّغوي أو النحوي أن يسأل عن حقائق الأشياء، وأن يحاول أن يكشف عن معاني المسمّيات، ولا أدلّ على ذلك من هذه القصة اللطيفة فـ«عن أبي حاتم، قال: سألت الأصمعيّ لِمَ سمّيت منىً منىً؟ قال: لا أدري. فلقيت أبا عبيدة فسألته فقال: لم أكن مع آدم حين علّمه الله الأسماء، فأسأله عن اشتقاق الأسماء، فأتيت أبا زيد فسألته، قال: سمّيت منىً لما يُمْنى عليها من الدّماء»[1].

وقصة أخرى ساقها ابن خالويه في «شرح الدّريديّة» حيث قال: «سمعت ابن دريد يقول: سألت أبا حاتم عن «ثادق» اسم فرس من أي شيء اشتق؟ فقال: لا أدري، فسألت الرياشيّ عنه، فقال: يا معشر الصّبيان، إنكم لَتَتَعَمَّقون

---

(١) المزهر ١ /٣٥١، ومعنى يُمْنى عليها: يراق عليها.

في العِلْم؟ فسألت أبا عثمان الأشنانداني عنه فقال: يقال: ثدق المطر: إذا سال وانصبّ فهو ثادق، «فاشتقاقه من هذا»[1].

هاتان القصّتان اللّتان ساقهما المزهر يبيِّنان بوضوح أن هذه الأسماء ما وُضِعَتْ اعتباطاً، ولا قيلت ارتجالاً، وإنما وراءها أسباب يسأل عنها، واشتقاقات يبحث عن حقيقتها، وأن إجابة أبي عبيدة لِمَن سأله: «لم أكن مع آدم حينما علّمه الله الأسماء» إجابة غير مقنعة في باب العِلْم والمعرفة.

وتردّد ألسنتنا كلمة عرب «صباحَ مساءَ» نقول: نحو عربيّ، ولغة عربية، وقرآن عربيّ، وشعب عربيّ، ومجد عربيّ، ومع ذلك فالكثير منا يجهل أصل هذه التّسمية، ولهذا رأيت لزاماً عليّ ما دمت أقدم هذا البحث للقراء أن أميط اللثام، وأكشف الغطاء، وأوضح الموقف، لتتجلّى حقيقة هذه الكلمة، ونعرف أصلها الاشتقاقيّ، ومدلولاته وتطوّراته.

ـ الأصل التاريخي لكلمة «عرب»:

رأي الدكتور عمر فروخ عضو المجمع اللغوي بالقاهرة:

يرى الدكتور عمر فروخ أن كلمة «عرب» لا تدلّ على معنىً قوميّ يتصل بالجنس أو بالجماعة الموحّدة، ويكشف السبب عن ذلك بأن الجاهليين قبل الإسلام كانوا غارقين في منازعاتهم القبليّة فلم يكن لديهم فيما لدينا من التراث اللغوي ما يدلّ على المدرك القومي الجامع، ولكن لما وقف الجاهليّون في أعقاب العصر الجاهلي وجهاً لوجه أمام الفرس على حدودهم الشرقيّة، ثم كرهوا الحكم الفارسيّ الذي كان قد استطال في شبه الجزيرة بدأوا يستشعرون

---

(١) المزهر ١/٣٥١.

شيئاً من البغض للفرس، وشعر عنترة بهذه البُغْض فقال في معلقته عن ناقته:

شربَتْ بماء الدُّحْرُضَيْن فأصبحت زوراءَ تَنْفِر عن حياض الدّيلم[1]

إن عنترة قد أحسّ بالدافع القوميّ الجامع، ولكن لم يجد الكلمة التي تعبّر عنه فاضطرّ إلى أن يدور حول المعنى ببيت كامل من الشعر»[2] وخلاصة رأي الباحث أن «الشعر الجاهليّ الذي وصل إلينا لا نجد فيه صيغة من جذر (ع ـ ر ـ ب) للدلالة على معنًى قوميّ يتعلّق بالجنس، ولا على معنى يتعلّق باللغة التي تتكلمها»[3].

وقد وصل الأمر بعنترة الشاعر أنه بحث عن الكلمة التي تعبّر عما يجيش في نفسه عن الجِنْس الذي ينتمي إليه ضد أعدائه الفرس، فقال بيته، وحوّم حول المعنى، ولم يهتد إلى اللفظة الجامعة الدالّة للفظة الجنس العربيّ، أو العرب.

على أن الدكتور عمر فرّوخ بعد نفيه هذا الجذر العربي في الشعر الجاهلي بيّن أن القرآن الكريم «لم يرد فيه من الجذر (ع ـ ر ـ ب) إلاّ ثلاث صيغ وهي «عُرُباً» جمع «عَروب» بفتح العين نعتاً للمرأة المتحبّبة لزوجها في قوله تعالى: ﴿عُرُباً أتراباً﴾[4] ثم جاءت الصيغة «أعراب» عشر مرات في سُوَر مدنيّة فقط، منها ست مرات في سورة التّوبة وحدها. . . .

أما الكلمة الفاصلة في هذا الشأن فهي كلمة: «عربي» التي وردت في

---

(١) الدّحرضين: ماء أو بلد، وقيل: هما ماءان، وزوراء: مائلة من النشاط، والدّيلم: الأعداء. وانظر ديوان عنترة وهامشه/١٥٨.

(٢) انظر البحوث والمحاضرات (مؤتمر ١٩٦١ ـ ١٩٦٢) ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥. مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٣) المرجع نفسه والصفحة.

(٤) الواقعة / ٣٧.

القرآن الكريم إحدى عشر مرّة في سُوَرٍ مدنيّة وفي سُوَر مكّيّة أيضاً».

ويحاول الباحث أن يبيّن أن هذه الكلمة وهي «عربي» لا تعنى الجنس ولا الشّعب. وإنما تعني شيئاً واحداً فقط هو وصف اللغة التي نزل بها القرآن بأنها لغة واضحة بيّنة[1]، ومعنى ذلك أن كلمة عربيّ تعني الإبانة والوضوح ولا تعني الجنس أو الشعب أو القوم.

مناقشة هذا الرأي:

الواقع أن حكم الدكتور فرّوخ بأن جذر كلمة (ع ـ ر ـ ب) لم يقع في الشعر الجاهلي فهذا حكم يجانبه الصواب، ولا يستطيع أحد أن يحكم هذا الحكم إلاّ إذا استوعب الشّعر الجاهليّ بأكمله وهذا أمر متعذّر فما ورد إلينا من الشعر الجاهلي قليل من كثير، وغيْض من فَيْض.

ومع ذلك فإنّ هذا الشعر القليل ورد فيه هذا الجذر في شعر النابغة الذّبياني وهو شاعر من قمم شعراء الجاهليّة، ففي قصيدته التي يمدح فيها النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبيّ حينما أغار على بني ذبيان، وسبى «عقرب» ابنة النابغة، فسألها: من أنت؟ فقالت: أنا بنت النابغة، فقال: والله ما أحد أكرم علينا من أبيك، ولا أنفع لنا منه عند الملوك،فجهّزها وخلّاها،أقول: في هذه القصيدة ورد جذر كلمة «ع ر ب»، وهي قصيدة مشهورة مطلعها:

أهاجك من سُعْداك مغنى المعاهد بروضة نُعْميّ فذات الأساود

(١) المرجع نفسه والصفحة.

إلى أن قـــــال:

عهـدت بها سعـدى وسعدى غـريـرة عـروبٌ تهادي في حـوار خـرائـد[1]

وكلمة «عروب» في البيت تَعْني أنها مزاحة متحبّبة وردت كلمـة: «عراب» في شعر النابغة أيضاً، في قصيدته التي مطلعها:

وفـوقَـهُـم دروعٌ سـابـغـاتٌ وتـحـتـهـم الـمقـلّمـةُ الـعـرابُ[2]

والخيول المقلمة: هي التي علّق عليها صوفٌ ملونٌ في الحـرب،والعراب: الخيول الكريمـــة.

ولو تتبعنا شعراء العرب في العصور الجاهلية لطالعتنا جذور هذه الكلمة في كثير من القصائد.

وما لي أذهب بعيداً،وقد وجهت عدّة نقود من بعض أعضاء المجمع اللغوي لهذا الرأي.

نقد الدكتور عوض محمد عوض:

والـدكتور عـوض جغـرافيّ مؤرّخ يعـرف كيف يضـع الأمـور في نصـابهـا واستطاع أن يضع النقاط على حروفها في هذه القضيّة، فوضّح بما لا يدع مجالاً للشك «أننا لا ننتظر أن تكون الجزيرة العربية منذ ثلاثة آلاف سنة قبـل الميلاد

---

(١) انظر ديوان النابغة الذبياني / ٦٠ تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ـ نشر الشـركة الـوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر.

(٢) انظر النابغة الذبياني، دراسة لغوية للأستاذ عـاهد المـاضي رسالـة ماجستيـر مخطوطـة ص ١١٠، مخطوطة بجامعة الكويت. وروى، المعلّمة بالعيـن.

مهداً للرّوح القوميّة كما نفهمها الآن، لأن الروح القومية هذه شيء جديد، لذلك يجب علينا أن نضع المسائل في نطاقها المعقول، فلم تكن هناك قوميّة عربيّة منذ ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد. . . إلى أن يقول: وكنت أودّ أن أتتبع ورود اسم «عرب» في التاريخ سواء أكان عند قدماء الفرس أم المصريين، والأصح أننا نجدها عند قدماء المصريين، لأنهم كانوا يسجلون معلوماتهم أولاً بأول».

ثم يقول: «وعلى ما أذكر أنه في القرن التاسع أو العاشر قبل الميلاد ورد اسم (أرب) أو (آرف) في النصوص المصرية القديمة، فاللغة العربيّة والثقافة العربية قديمة وعريقة، وكلمة «عرب» ربما كانت اسماً لشعب كان ظهر وقوى واشتدّ في فترة من الزّمان، فأصبح اسمه هو السائد، وله الفضل في نشر العروبة في آسية وأفريقية».

رأي الدكتور مراد كامل:

ذكر أنّ كلمة «عرب» أو «آرف» معروفة عند الأشوريّين، وفي عصر متأخرّ سُمّوا الطائيين عند الآراميين».

رأي الأستاذ عبد الله كنون:

ناقش الدكتور عمر فروخ في أن اسم العرب لم يظهر إلا عند ظهور الإسلام في آخر عصر الجاهلية، ولفت نظر الباحث إلى ما نعرفه جميعاً من أن اسم يعرب بن قحطان أبي العرب اليمانيّة وهو متوغّل في الجاهليّة، فيظهر منه أن اسم العرب على الأقل معروف قبل الإسلام بكثير، وعدم عثورنا عليه في شعر الجاهليّة لا يلزم من عدم وجوده، لأن عدمِ الوجود لا يدلّ على عدم الوجود».

تعليق الشيخ محمد علي النجار:

وعلّق الشيخ محمد علي النجار على قوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾ أي منسوباً

إلى العرب، أي نزل بلسانكم أيّها العرب، وهو غير ذي عِوَج أي مستقيم فكلمة «عربي» لم يقصد بها الإبانة فحسب، وإنما قُصِد بها المعنيان»[1].

رأي:

وفي رأيي أن التأريخ لكلمة عرب يَكْتَنِفُهُ الغموض، والشعر الجاهليّ وإن كان ديوان العرب، والمرآة الكاشفة لحياتهم، فإن ما ورد منه قليل بالنسبة لما لم يرد، وليس هناك من دليل يفصل في هذه القضية غير النقوش الأثرية التي توضّح الغامض، وتكشف المبهم، وفي بحث الدكتور مراد كامل الذي قدّمه لمؤتمر مجمع اللغة العربية ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ نجد الدليل المرشد في طريق البحث عن تأريخ ولادة كلمة عرب.

موضوع هذا البحث هو: لغات النقوش العربيّة الشمالية وصلتها باللغة العربيّة:

بعد أن بين الباحث الهجرات التي قامت بها القبائل من الجزيرة العربية ابتداء من الألف الرابع إلى الألف الثاني قبل الميلاد وبقاء من بقي في الجزيرة العربية بدون هجرة ـ بيّن أن هناك «آلافاً» من النقوش كشف عنها الباحثون الأثريّون «في المنطقة الواسعة الممتدّة» من وسط الجزيرة إلى الصّفاة في الشرق والجنوب من حَوْران، وأخذ العلماء في معالجتها وحل رموزها وفهمها حتى توصّلوا إلى ذلك في الرّبع الثاني من القرن الحالي». وهذه النقوش تنقسم إلى ثلاث مجموعات:

١ ــ أقدمها المجموعة التي نسمّيها الثّموديّة، وقد عثر على كتابتها في «حائل» وفي «الطائف» و«تيماء» و«مدائن صالح» وقد ورد اسم الثّموديين في نقوش الملك «سرجون الأشوري» سنة ـ ٧١٥ ق . م .

---

(١) انظر هذه الآراء والتعليقات في «مؤتمر البحوث والمحاضرات» ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص ٢٦٣ ـ ٢٧١ .

٢ ـ المجموعة الثانية هي التي تعرف بالصّفوية، وسمّيت بذلك لوجودها في منطقة الصَّفاة منقوشة على حجارة: «اللابا» في «الحرّة» في جنوب شرق دمشق.

٣ ـ المجموعة اللّحيانية، وهي التي عثر عليها في شمالي الحجاز، وفي مدائن صالح، وخشم جبلة، وتيماء.

أمّا النقوش الثمودية فقد احتفظت لنا بكثير من الكلمات العربية والصّيغ اللغوية، فالضمائر المنفصلة: أنا وأنت، والمتّصلة تطابق العربيّة تماماً، كما وردت «ذو الطائية»[1] التي سجلها النحاة في قواعدهم.

ووردت أفعال على صيغة فَعِل مثل: علم ـ حل ـ رعى ـ رهب ـ كتم ـ عشق ـ كَلَم (أي جرح) و«نوى» أي هاجر.

وورد للمجهول صيغة فُعل مثل: قُنِص، وصِيدَ.

ووردت صيغة تفعّل مثل: تشوّق أي «أشتاق».

ومن الحروف التي وردت: إلى، الباء، وفي، ومن، واللام.

ووردت واو العطف والفاء كما في العربيّة.

ووردت لام الأمر في الاستعمال مثل: لام الأمر في العربية.

ومن أسماء الأعلام في الثموديّة: أحمد ـ بدر ـ جشم ـ وائل ـ زيد ـ حليم ـ طاهر ـ ظريف ـ كلب ـ لبيد ـ مطر.

وأما اللغة الصفوية فهي لهجة عربيّة شمالية.

ومن مفرادتها: أثر، وسِفْر، أَخَذَتْ معنى الكتابة، وآية: جاءت بمعنى كتابة، ووردت آية بمعنى الكتابة في شعر الهذليين.

---

(١) عند النحاة هي اسم موصول. بمعنى: الذي، وقد نصت عليها كتب النحو وأوردوا شواهد كثيرة لها.

ووردت كلمة «جوّ» ومعناها: واد (بمعنى المنخفض) في نقائض جرير والفرزدق، ومنها «الجواء» في معلقة عنترة.

ووردت «ها» للنداء، وهي هاء التنبيه في العربية والتي نجدها في يأيّها.

ومن الأفعال التي وردت: نفر بمعنى :هرب: وحرص بمعنى :تطّلع، وَكَلم بمعنى: جرح.

ومن المفردات: فرس - ضأن - خيل - خال - خمسة - معزى - نخل أي: «واد» - نقمة: أي «ثأر».

ومن أسماء الأعلام: إياس - أوس - أسود - همام - ظالم - كاهل - شداد - شديد - شامت - تيم.

ومن التعبيرات التي وردت في هذه اللغة:

«حي لذي يقرأ هكتاب» ومعناها: ليحيا من يقرأ هذا الكتاب.

وأما لغة النقوش اللحيانيّة: فمن حيث الحروف فهي كما في العربية وفي كتابتهم كتبوا: عويذ: (عوذ) وطلال (طلل) وعاص (عصى) وكتبوا زيد: (زد) وأوس بن حجر (أس بن حجر).

وقلبوا الياء إلى جيم حنكيّة ثم إلى جيم معطشة على الأغلب وهذا شائع إلى اليوم في بعض لهجات الكويت وهي«الجَعْجَعَة مثل الراعي: الراعج»[1].

وهذا النص الذي لخصته من بحث الدكتور مراد كامل يعني ما يلي:

١ ـ اللغة العربية ضاربة في القدم في عصور ما قبل الميلاد.

٢ ـ تؤيد النقوش الثمودية والصفوية واللحانية أن أصولها وحروفها وأفعالها

---

(١) لخص بتصرف من بحث: لغات النقوش العرب الشمالية وصلتها باللغة العربية للدكتور/ مراد كامل. انظر البحوث والمحاضرات مؤتمر ١٩٦١ - ١٩٦٢ . مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وأسماءها لا تختلف عن العربية التي نزل بها القرآن الكريم إلاّ في بعض معاني الكلمات، وكتابتها، وطريقة استعمالها، وهذا أمر طبعيّ لأن اللغة العربية في طريقها الطويل منذ ولادتها إلى عصرنا الحاضر وهي تحمل هذه الاختلافات اللهجية التي تختلف من شعب إلى شعب، ومن بيئة إلى بيئة حتى البيئة الواحدة نجد فيها مظاهر هذا الاختلاف. . . والظواهر الصوتية التي حفلت بها هذه النقوش ليست بعيدة عن الظواهر الصوتية في لهجاتنا المعاصرة كقلب الياء جيماً معطشة في اللهجة الكويتيــة.

٣ ــ وعلى الرغم من تعدّد أماكن هذه النقوش، وتعدّد من تنتسب إليهم فإن هناك أصولاً مشتركة في هذه النقوش تسير جنباً إلى جنب مع أصول اللغة العربية الفصحى، وإن اختلفت عنها أحياناً في بعض العبارات والكلمات.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا. هل هذه النقوش التي تحمل الكثير من الألفاظ العربية حروفاً ومفردات، وتراكيب كانت تحت مسمّى واحد هو العربيّة؟

وللإجابة عن هذا السؤال نؤكد أن المهم في هذه النقوش هو المعنى والفحوى لا المظهر واللفظ، فما دامت الحروف عربيّة، والكلمات عربية، والتعبيرات عربيّة، وما دامت هذه النقوش ليست نقوشاً عبرية أو سريانية، فلمَ لا تكون عربيــة؟.

ومن البدهي حينما تنقش الكلمات على الأحجار لتُبَيِّن تاريخاً أو تسجّل حادثاً، أو تسطّر قصة لا يحتاج ناقشها إلى أن يقول: هذه نقوش عربيّة.

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول: إن هذه النقوش حجة قاطعة على أن كلمة عرب أو عربية ليست غريبة في هذه الفترة التي كتبت فيها هذه النقوش.

حقاً إن هناك اختلافات كبيرة بين هذه اللغة المنقوشة والعربيــة الفصيحة،

ولكنها اختلافات لهجيّـة، والاختلافات اللّهجيّة ما زالت حتى هذا اليوم تستبدّ بألسنتنا في وطننا العربي الكبيـر ومع ذلـك لا نقول: إننـا نتكلم بغير العـربية، ونعني بذلك أننا نتكلم بلهجة تحمل كثيراً من عناصر العربية الفصحى.

والمقولة التي يردّدها الرواة والتي ينسبونها إلى أبي عمرو بن العلاء حينما قال: «ما لسان حِمْيَر وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا»[1].

قد أشار إليهـا الدكتـور جواد علي حينمـا قال: «ولكن علمـاء العربيـة لم يـتنصّـلوا من عروبة حِمْيَر ولا من عروبة غيرهم ممن كان يتكلم بلسان آخر مخالف للساننا بل عدّوهم من صميم العرب ومن لبّها.

ونحن هنا لا نستطيع أن ننكر على الأقوام العربيّة المنسية عروبتها لمجـرّد اختلاف لسانها من لساننا، ووصول كتابات منها مكتوبة بلغة لا نفهمها، فلغتها هي لغة عربيّة، ما في ذلك شبهة ولا شك»[1].

رأي الدكتور طه حسين في كلمة أبي عمرو بن العلاء:

وقد هشّ الدكتور طه حسين لهذه الكلمة لأنها صادفت هوى في نفسه حينما حاول إنكار الشعر الجاهلي، فقد اعتمد على مقولة أبي عمرو بن العلاء حينما سجّل في كتابه «الأدب الجاهلي»: أن الشعراء الجاهليين معظمهم ينتسب إلى قحطان، وكثرتهم كانوا ينزلون اليمن، والقلّة منهم هاجرت إلى الشمال مع أن لسان حِمْيَر في اليمن ليس هو لسان عدنان في الشّمال وقد قـال أبو عمـرو بن العلاء: «ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا» إلى أن يقول: وينبني على هذا أن الشعر الذي ينسب إلى امرىء القيس أو الأعشى أو إلى غيرهما من الشعراء

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحيّ / ٨.

(٢) انظر: الفيصل في تاريخ العرب ١ /٣٢.

الجاهليين لا يمكن من الوجهة اللغوية والفنيّة أن يكـون لهؤلاء الشعراء ولا أن يكون قد قيل وأذيع قبل أن يظهر القرآن»(١).

نقد الدكتور طه حسين في هذا الــرأي:

لم يسكت النقاد عن هذا الرأي الخطير لأن له صلة بإعجاز القرآن الكريم وتحدّيه لأرباب القول، وأساطين الفصاحة.

نقده الشيخ أحمد رضا العاملي حينما أنكر عروبـة حمير مبيّنـاً أن القبائـل كـانت تجتمـع من جنــوبيين وشمـاليين في أســواقهـا وتتفـاهم دون أدنى كلفـة ويسـاعـدهــم على ذلك أن لغاتهم أو لهجاتهم على ما كانت عليه كانت متحدة في صميمها، وأن هذا الاختلاف لم يَعْدُ كونها لهجات للغة واحــدة.

ويقدم دليلاً على ما يقول في قصة وفد الحجـاز. عند سيف بن ذي يـزن ملك اليمن، وعلى رأس ذلك الوفد سيد قريش عبد المطلب بن هاشم يخطب ببيانه القرشيّ العدنانيّ، وسيد اليمن يُصْغي إليه، ويسمع شاعر الوفد أميّـة بن أبي الصلت ينشد قصيدتـه بلهجتـه الفصحى، والملك يصغي طـروباً لا يجـد غرابة في ذلك(٢).

ونقد هذا الرأي أيضاً الشيخ محمد الخضـر حسين حينما ذكر أن طه حسين حرّف كلمة أبي عمرو بن العلاء لهوىً في نفسه(٣).

ويحلل الـدكتور أحمـد الحوفي كلمـة أبي عمرو بن العـلاء بأن «اللغتين

---

(١) انظر في الأدب الجاهلي لطه حسين/ ٦٥.

(٢) انظر مولد اللغة للشيخ أحمد رضا العاملي/ ٥٦، وانظر أيضاً: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ٣٣٤ للدكتور/ عبد العال سالم مكرم.

(٣) انظر نقض كتاب: «في الشعر الجاهلي»/ ٧٤ للشيخ محمد الخضر حسين.

عربيتان» ولكن التطور والمكان والزمان والأحداث والألسنة الخ قد شققت من اللغة الواحدة لهجتين بدليل قوله: «ولا عربيّتهم بعربيّتنا، والعرب يطلقون على اللهجة: اللسان»[1].

رأي المستشرقين في أصل كلمة «عرب»:

ساق الدكتور جواد علي في كتابه «تاريخ العرب» رأي المستشرقين في تاريخ هذه الكلمة، وماذا كانت تعني؟ وهل كان مفهومها الجنس أو الجماعة التي تعيش في حاضرة، وليست في بادية؟

يقول ما نصّه: «أما المستشرقون وعلماء التوراة المحدثون فقد تتّبعوا تاريخ الكلمة، وتتبعوا معناها، وبحثوا عنها في الكتابات الجاهليّة وفي كتابات الآشوريين والبابليّين واليونان والرّومان والعبرانيين فوجدوا أن أقدم نص وردت فيه لفظة «عرب» هو نص آشوري من أيام الملك (شلمنصر الثالث) ملك آشور، وقد تبين لهم أن لفظة «عرب» لم تكن تعني عند الآشوريين ما تعنيه عندنا من معنى، بل كانوا يقصدون بها بداوة وإمارة (مشيخة) كانت تحكم في البادية المتاخمة للحدود الآشورية، كان حكمها يتوسع ويتقلّص في البادية تبعاً للظروف السياسية، ولقوة شخصية الأمير. وكان يحكمها أمير يلقب نفسه بلقب «ملك» يقال له «جنديبو» أي جندب»[2].

ويذكر الدكتور جواد أيضاً أن الكلمة وجدت في الكتابات البابلية في حملة: «ماتوربي» MATU A-RA- bi، ومعنى: ماتو: أرض، فيكون المعنى

---

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلي للدكتور أحمد الحوفي ١ /٤١.

(٢) انظر الفيصل في تاريخ العرب ١ /١٧.

أرض عربي أي أرض العرب أو بلاد العرب أو العربية[1].

وبعد هذا العرض التاريخي لكلمة عرب نتساءل: هل وجدت هذه الكلمة في النصوص الدينية القديمة؟

كلمة (عرب) في ضوء النصوص الدّينيّة:

إن أقدم كتاب دينيّ بين أيدينا هو التّوراة أو العهد القديم أو العتيق الذي جمع أشعار الأنبياء والرسل من بني إسرائيل. وبعد البحث رأيت أن هذه الكلمة وردت في نبوءة «أرميا» في الفقرة الثانية ص ٤٣٤ من التوراة وهي:

«لقد قعدت لهم كالأعرابي في البادية، ودنّست الأرض بزناك وفجورك»

ووردت في نبوءة (أشعيا) الفصل الثالث عشر ص ٣٥٨، فقرة ٢١ وهي: «فلا تسكن أبداً (يتحدث عن أرض الكلدانيين) ولا تعمر إلى جيل فجيل. ولا يضرب أعرابي فيها خباء، ولا تربض هناك رعاة»[2]

وفي ضوء هذين النصّين نستطيع أن نقول: إن التوراة تعني بالأعرابيّ من نشأ في البادية وعاش فيها بعيداً عن الحضر والمدن.

ويجاري التّوراة في هذا التّلمود فقد قصدت لفظة «عرب» و«عربيم» (ARBIM): الأعراب كذلك أي المعنى نفسه الذي ورد في الأسفار القديمة»[3].

---

(١) المرجع نفسه والصفحة.

(٢) انظر التوراة في هذا الموضع.

(٣) انظر تاريخ العرب لجواد علي ١/ ٢١.

كلمة (عرب) عند المؤرخين اليونان والرّومان:

وإذا رجعنا إلى المؤرخين اليونان والرومان فإننا نجد أن لفظة (العربية) (ARABAE) هي في معنى بلاد العرب، وقد شملت جزيرة العرب وبادية الشام.

وسكانهم هم عرب على اختلاف لغاتهم ولهجاتهم على سبيل التّغليب لاعتقادهم أن البداوة كانت هي الغالبة على هذه الأرضين، فأطلقوها من ثمّ على الأرَضِين المذكورة.

وتدلّ المعلومات الواردة في كتب اليونان واللاّتين المؤلفة بعد (هيرودوتس) على تحسّن وتقدم في معارفهم عن بلاد العرب وعلى أن حدودها قد توسعت في مداركهم فشملت البادية، وجزيرة العرب، وطور سيناء... وصارت كلمة عربي عندهم عَلَماً للشخص المقيم في تلك الأرضين من بَدْوٍ ومن حَضَر»[1].

ويميل الدكتور جواد علي بعد عرضه لهذه النصوص المُتَعَدِّدة في كلمة عرب وأعراب إلى أن الكلمتين تعنيان معنى واحداً وهو الحياة البدوية الصحراوية التي يعيش فيها هؤلاء الناس. ومن ثَمّ سموا أَعْراباً أو عَرَباً.

يقول في الموضوع نفسه: «وقد وردت اللفظة ـ أعني لفظة عرب ـ في كل هذه النصوص بمعنى أعراب ولم ترد علماً على قوم أو جنس بالمعنى المفهوم من اللفظة في الوقت الحاضر»[2].

ونحن لا نميل إلى هذا الرأي لأنه مجرد اجتهاد وصل إليه من خلال النصوص التي عرضها.

---

(١) انظر تاريخ العرب لجواد علي/٢٢.

(٢) المرجع نفسه.

ولو آمنا بهذا الرأي لأنكرنا أن للعرب حضارة قبل الإسلام وهذا موضوع خطير، لأنه يتنافى مع النصوص القرآنية، وهي النصوص التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، لأنها تنزيل من حكيم حميد، وإليك البيـــان:

حضارة العرب قبل الإسلام:

لا ينكر أحد أن للعرب حضارة قبل الإسلام، فليس من المنطق أو المعقول أن ينزل القرآن الكريم بجلالة قدره، وعظيم أسلوبه، وروعة بيانه على قوم رُحّل لا يدركون ما فيه من سموّ المعاني، وما اشتمل عليه من أساليب مُعْجِزة، ومن تراكيب مفحمة، ومن آداب، وحكم، وعلم، ومنطق، وفكر وتشريع.

وكما يقول المؤرخون: إن العلاقة وطيدة بين الحضارة والماء، فإذا وجد الماء تكونت المدن، ونمتْ الحضارة، وكثر الخير، وازدهر الفكر، وارتقى الإنسان، فهل وجد الماء في الجزيرة العربيّة لتنمو الحضارة؟ تجيبنا على هذا التساؤل النصوص المصرية القديمة التي تنصّ على أنّ الجزيرة العربيّة وجدت فيها أخشاب ضخمة: «وأن المنطقة الواقعة بين «العلا» و«معون» أو «معان» من المناطق الصحراويّة في الوقت الحاضر من أراضي ثمود قديماً قد كانت من مناطق الغابات المكتظة بالأشجار، ولعل ذلك كله هو الذي حمل المصريين القدماء على ألا يُسمّوا بلاد العرب باسمها الخاص بها، وإنما سموها في كتاباتهم بأرض الله، ووصفوها بنتاج أشجارها من البهار والتوابل. . .

أمّا الرّوايات اليونانية والرومانية القديمة فكانت تقول صراحة بوجود أنهار طويلة في بلاد العرب.

فإن «هيرودوت» أبا التاريخ وقد زار بلاد العرب بنفسه قد ذكر خبر نهر في بلاد العرب دعاه «كورس». وقال عنه: إنه من الأنهار العظيمة وإنه كان يصب

في البحر الأحمر، وإن ملك العرب قد كان عمل على جلب المياه من هذا النهر العظيم بثلاثة أنابيب من جلود الثيران وغيرها من الحيوانات تمتد إلى الصحراء على مسيرة اثني عشر يوماً من النّهر فتصب في مواضيع منقورة تستعمل لخزن المياه».

وذكر بطليموس اسم نهر عظيم سماه «لار LAR» وقال: إنه ينبع من منطقة نجران ثم يسير نحو الجهة الشمالية الشرقيّة مخترقاً بلاد العرب حتى يصب في الخليج الفارسي»[1].

وما لي أذهب بعيداً والقرآن الكريم نفسه مؤيد لوجود هذه الحضارة فلننظر ماذا يقول القرآن الكريم؟

الحضارة العربيّة قبل الإسلام في ضوء القرآن الكريم:

قبل أن نتحدث عن جذور الحضارة العربية قبل الإسلام من خلال النصوص القرآنية نتساءل هل جذور كلمة «عرب» ترددت في القرآن الكريم وسجّلت في آياته؟

بالرجوع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم نلحظ ما يأتي:

تشكّلَتْ جذور كلمة (ع - ر - ب) في القرآن الكريم في ثلاث صيغ: «عُرُب» بضم العين والراء، وأعراب، وعربيّ.

١ ـ عُرُب وردت مرة واحدة في قوله تعالى، الواقعة/٣٧: ﴿ فجعلناهُنّ أبكاراً عُرُباً أتراباً﴾ وهو جمع: «عروب» والعروب: العاشقة لزوجها أو المتحببة

(١) انظر تاريخ بلاد العرب لجواد علي ١٠٢/١، ١٠٥، ١٨٩، وانظر أيضاً «العرب والحضارة الإنسانية للدكتور محمد معروف الدواليبي نقلاً عن مجلة اللسان العربي» المجلد السابع، الجزء الأول/٧٧.

إليه»المظهرة له ذلك، قال الزّبيدي في تاج العروس: أنشد ثعلب:

فمـا خَلَفٌ من أُمّ عِمْـرانَ سَـلْفَـعٌ ... من السّـودِ وَرْهـاءُ العِنـان عَـروبُ

قال ابن سيدة: هكذا أنشده ولم يفسّره. قال: وعندي أن عروب في هـذا البيت هي (الضّحّاكة) وهُمْ مِمّا يَعِيبون النّساء بالضّحِك الكثير[1].

٢ ــ ووردت كلمة: «أعراب» في التـوبة الآيـات: ٩٠، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٢٠.

ووردت في الأحزاب آية ٢٠، وفي الفتح ١١، ١٦، وفي الحجرات ١٤.

٣ ــ وكلمـة عـربيّ تكـرّرت في القـرآن الكـريم ١١ مـرة، في النحـل ١٠٢، وفـي الـشـعـراء ١٩٥، وفـي فـصـلت ٤٤، وفـي يوسـف ٢، وفي الرعـد ٣٧، وفي طه ١١٣، وفي الـزمر ٢٨، وفيفصلت ٣، وفي الشورى٧، وفي الزخرف ٣، وفي الأحقاف ١٢.

ومن خلال هذا الإحصاء يتبيّن لنا أن صيغة أعراب تكررت عشر مرات على حين تكررت كلمة عربيّ إحدى عشرة مرّة.

ماذا يعني هذا؟ هل القرآن الكريم ارتجل هذه الصيغ ارتجالاً؟

هل القرآن الكريم يورد ألفاظاً وصيغاً لا عهد للعرب الذين نزل عليهم بها؟

هل القرآن الكريم الذي تحدى بلغاء العرب في أن يأتوا بمثله أو بآيـة من آياته يتحدّاهم بكلمات لا يفهمون مدلولها، وبصيغ لا يعرفـون حقيقتها؟ اللهم لا، فالقرآن الكريم نزل بهذه اللغة ليتحدّى العرب بما تتكلم به العرب، وكلمة عرب أو أعراب لم تكن مجهولة المعنى في أذهان من تحدّاهم.

---

(١) انظر تاج العروس: «عرب» ٣٣٨/٣، والسلفع كما في القاموس: الصّخّابة، البذيئة، السّيئة الخلق.. والورْهاء: المرأة التي كثر شحمها.

وبعد هذه الجولة القصيرة في ذكر جذور مادة «عرب» في القرآن الكريم نحوّل مجرى الحديث إلى موضوع الحضارة العربية قبل الإسلام في ضوء القرآن الكريم والذي عقد هذا الفصل من أجله.

لا شك أن البحوث التاريخية والاكتشافات الجغرافية في شبه جزيرة العرب تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه الجزيرة تحتوي على مياه متدفقة بسبب الأنواء، وكثرة الأمطار التي تسبب وجود الأنهار: ويسعفنا في هذا الاتجاه مؤيداً لهذه الحقيقة ما ذكره الجغرافي (أغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي) في كتابه: (تاريخ الأدب الجغرافي) الذي نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم نشر الإدارة الثقافية في الجامعة العربيّة - حيث يتحدث عن الجزيرة العربية في فجر التاريخ فيقول: «بزغت فيها - والضمير عائد على شبه الجزيرة العربية - أولى مظاهر الحضارة العربية التي ما لبثت أن ترعرعت سريعاً، وأصبحت عنصراً أساسيّاً في حضارة البشر جمعاء».

ويقول في موضوع آخر: «وثَمّة ظاهرة فلكية هامة توصّل إليها البدو والحضر على السواء فقد أمكنهم التنبؤ بحالة الطقس، وتحديد فصول السّنة الملائمة للزراعة نتيجة لخبرة طويلة الأمد بمراقبة طلوع ومغيب نجوم معيّنة. وكان العرب يعرفون ذلك باسم «النَّوْء» وجمعه أنواء، وقد لعب دوراً كبيراً في حياتهم»[1].

والناظر إلى لسان العرب في هذه المادة يجد حديثاً طويلاً عن هذه الأنواء ومنازلها.

قال أبو عبيْدة متحدثاً عنها: «الأنواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة، كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف يسقط منها في كل

---

(١) انظر ص ٤٠، ٤١ من هذا الكتاب.

ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلوم مسمّى، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة».

وكان ابن الأعرابي يقول: «لا يكون نؤى حتى يكون معه مطر وإلاّ فلا نوء»[1].

وقد قام اللغويون بجهد كبير في جمع الألفاظ والكلمات والصيغ التي تتعلق بالأنواء وما يتبعها من كلأ، وماء ونبات، وحيوان في كتب ذخرت بها المكتبة العربية، ومن هؤلاء اللغويين الذي عنوا بالتأليف في هذا الميدان الأصمعيّ المتوفى سنة ٢١٣ هـ فقد «ألف كتباً في الأنواء، والأثواب، والأخبية، والبيوت، والسّلاح، والدلو، والرّحل، والسّرج، واللجام، والإبل، وخَلْق الإنسان - والخيْل والشاء والنبّات والشجر»[2]. وابن الأعرابي ألف في «خيل العرب والأنواء والذباب، والزرع والنخل والنبات»[3].

وفي كتاب مستقلّ تحدّث ابن الأعرابي عن البئر. فقد وضع «مجموعة لا بأس بها من الألفاظ التي توصف بها الآبار في حصرها واستخراج المياه منها وقلة تلك المياه وكثرتها، وأجزاء البئر وأنواعها، وأسماء كلّ نوع، وأنواع المياه الخارجة منها، وآلات استخراج المياه من الآبار كالبكرة والحبال والدّلو»[4].

ألا يدل هذا على أن الجزيرة العربية موطن حضارة، ومستقر نهضة وكيف وضعوا مسمّيات عديدة لألفاظ كثيرة في موضوع واحد كالبئر أو النبات أو

---

(١) انظر حديث أبي عبيدة، وقول ابن الأعرابي في اللسان مادة: «نوأ».
(٢) انظر مقدمة كتاب البئر لابن الأعرابي/ ٥ .
(٣) المرجع نفسه والصفحة.
(٤) المرجع نفسه ص/ ٦.

الحيوان! وسنتناول بعد هذا التمهيد الآيات القرآنية التي سجلت ظواهر الحضارة العربية في عصورها الأولى.

الحضارة العربية في ظلال الآيات القرآنيـــة:

من سورة الأعراف آية ٧٤ :

﴿واذْكُروا إذْ جَعَلكم خُلَفاءَ مِنْ بعد عاد، وَبَّـوأَكُم في الأرض تَتَّخِذون من سُهولِها قُصوراً، وتَنْحِتُون الجبـال بُيوتـاً، فاذكـروا ءَالآء الله ولا تَعْثَوْا في الأرض مُفْسِدِين﴾.

وهذه الآية نزلت في قوم ثمود، وهم قبيلة من العرب كانت مساكنهم الحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى، وسميت باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح.

ويذكر الألوسي: «أن عاداً لما هلكوا عمرت ثمود بعدها، واستخلفـوا في الأرض، وَعَمَرُوا حتى جعل أحـدهم يبنى المسكن من المدر فينهـدم والرجـل حيّ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً، وكانوا في سعة من معاشهم فعثوا في الأرض، وعبدوا غير الله تعالى، فبعث الله تعالى إليهم صالحاً، وكانوا قوماً عرباً»(١).

وتدل هذه الآية على أن الحضارة بلغت أَوْجَها عند هذه القبيلة العربية فَبَنَوْا مساكنهم من المَدَر، وَتَطَوَّرُوا فَنَحَتُوا مسـاكنهم في الجبال. وفن البنـاء ظاهـرة حضارية، لأن مساكنهم تؤلف مجتمعاً له خصائص المجتمعـات الحديثـة، وله مقوّمات الحضارة التي تقوم على التكيّف مع متطلبات هذا المجتمع.

---

(١) انظر تفسير الألوسيّ ٨ /١٦٦.

وفن النحت لا يقوم به إلا خبير دقيق، وصانع ماهر، وهذا لا يتوافق أبداً مع بدوي لا يعرف من الحياة إلا رعي الغنم أو الإبل.

والحضارة توحي لأصحابها بأنهم أهل اقتدار، وقد تزيد هذه القدرة عن حدّها فتصير طغياناً وجبروتاً يشدهم إلى الفساد المدمّر، ولهذا أرسل الله إليهم صالحاً ليعيد إليهم رشدهم وصوابهم، ولكنهم لم يستجيبوا فصَبّ عليهم ربك سَوْط عذاب، إن رَبّك لبالمرصاد.

وهذه ظاهرة نلاحظها في أيامنا هذه ظاهرة الحضارة التي تعطي صاحبها قوة الاقتدار فَيَطْغى ويدمّر.

وفي سورة الفجر آية ٦، ٧، ٨:

﴿ألم تـر كيف فعل رَبُّك بعاد، إرَمَ ذاتِ العِماد التي لم يُخْلَقْ مثلُها في البلاد﴾. وهذه الآية نزلت في قوم عاد الذين جعلوا لهم مدينة مشهورة وهي مدينة (إرم) على قول أنها مدينة أو أن إرم جدهم الأعلى وأضيفت المساكن ذات العماد إليه[1]، وهي مساكن بالنص القرآني لم يخلق مثلها في البلاد، وهذا مما لا ريب فيه يدلّ دلالة واضحة على أن قوم عاد كانوا ذوي حضارة ولا يستطيع البدويّ الذي جعل الأرض فراشاً، والسماء غطاء أن يقوم بمثل هذا العمل الضخم، وهو بناء مدينة ذات عُمُد لا نظير لها في بنائها وضخامته، وجماله.

ولعل زهير بن أبي سُلْمى وهو شاعر جاهليّ أحس بهذا المجد العربي في ضخامة البناء، وروعة المعمار، وإقامة العمد، فقال:

وآخرين ترى الماذِيّ عُدّتهم   مِنْ نَسْج داود أوما أَوْرَثَتْ إرم[2]

---

(١) انظر تفسير الألوسي ٣٠ /١٢٢.

(٢) انظر تفسير الألوسي ٣٠، والماذي: السّلاح، وانظر أيضاً شرح ديوان زهير بن أبي سلمى/٨٢.

فكأنّ «إرم» في بيت زهير تعني القوة والمجد حينما أراد أن يمدح الآخرين بأنهم يملكون عدة السلاحِ الصّارم الذي نسج بمهارة داود وحذقه أو كـأنه وَرِثَ من أهل إرم الذين يضرب بهم المثل في القوة والبطش.

٣ ــ وفي الآية السادسة من سورة الأنعام تذكير للعرب في إبّان رسالة محمد عليه السلام بـأن يَتَّعِظُوا ويعتبـروا بما حـدث لأجدادهم حينمـا تجنبوا الحق، وانحرفوا عن الصواب.

تُسَجّل هذه الآية ظاهرة الحضارة التي كـان يعيش في ظلها أجـدادهم في رزق دائم، وخير شامل، ونَعيم مقيم، وقصور شاهقة، وأنهار تحتها جاريـة. يقول الله تعالى مذكّراً هؤلاء العرب:

﴿الـم يَرَوْا كم أَهْلَكْنا من قبلهم من قَـرْنٍ مكّنّاهم في الأرض مـا لم نُمَكِّنْ لكم، وأرسلنـــا السّمـاء عليهم مِـــدْراراً، وَجَعَلْنـا الأنهـــارَ تَجْـــرِي مِنْ تَحْتِهِم فأهلكناهُم بذُنوبهم وَأَنْشَأْنَا من بعدهم قَرْناً آخرين﴾.

هل هناك أوضح من هذه النصوص في حضارة العرب قبل الإسلام. وهناك نصوص من التوراة تنير الطريق نحو هٰذه الحضارة أيضـــاً.

نصوص من التـــوراة:

ذكرت فيما سبق أن الجزيرة العربيّة كانت موطن الكثير من القبائل العربية، كالأكاديّن والآراميين، والكنعانيين قبل أن تهاجر هذه القبائل من الجزيرة، لأنه فيما بعد هاجر الأكاديون في الألف الرابع قبل الميلاد إلى ما بين النهرين.

وفي الألف الثالث قبل الميـلاد هاجـر الكنعانيـون، واتجهوا إلى الشمـال الغربي من شبه الجزيرة.

وفي الألف الثاني قبل الميلاد هاجرت قبائل إلى شمال الجزيرة وهم الآراميــون.

وقبل الهجرة كانت الجزيرة العربيّة كما أسلفنا سابقاً ذات حضارة تتطلع إليها الشعوب الأخرى.

ومن هذه الشعوب الشعب العبــري.

أما النصوص التي وردت في التوراة للإشارة إلى هذه الحضارة فهي ما يأتي:

في سفر الخروج الفقرة ٧، ٨ من الفصل الثالث:

«فقال الرّب إني قد نظرت. إلى مذلة شعبي..... وسمعت صراخهم من قبل مُسَخّريهم، وعلمت بكَرْبهِم» (الفقرة السابعة).

فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين، وأخرجهم من تلك الأرض إلى أرض طيبة واسعة أرض تدرّ لَبناً وعسلاً إلى موضع الكنعانيين والحيثيين» (الفقرة الثامنة).

وفي الفَصْل الثالث والثلاثين؛ (الفقرة الأولى):

«وقال الرّب لموسى: هَلُم فاصْعَدْ من ها هنا أنت والشعب الذين أخرجتهم من أرض مصر إلى الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب».

وفي (الفقرة الرابعة) من الفصل نفسه: «إلى أرض تدر لبناً وعسلاً.

بعد تضافر هذه النصوص على حضارة العرب القديمة قبل الإسلام نتوجّه إلى المعاجم اللغوية لتدلي بدلوها في هذه القضية.

** .. ** .. **

حضارة العرب من خلال المعاني اللغوية لهذه الكلمة:

تدلّ كلمة عرب في المعاجم اللغوية على معان متعـدّدة ، أقتصر فقط هنا على بعض المعاني التي تتعلق بعناصر الحضارة:

في (تاج العروس) وردت كلمة (عرب) بمعنى الماء الكثير، قال الزّبيدي: والعَرَبُ: الماء الكثير الصّافي، يقال: ماء عَرَب كثير، ونهر عَرَبٌ: غَمْر، وبئر عَرَبَةٌ: كثيرة المياه.

الإعراب والتّعريب معناهما واحد: وهو الإبانة.

والإبانة تعني الوضوح والصّفاء، والوضوح والصفاء من صفات الماء.

وفي الحديث: «والثَّيِّبُ تُعْرِب عن نفسها» أي تبيّن وتوضّح، والتّعريب أيضاً كما في تاج العروس: الإكثار من شرب العَرَب وهو الكثير من الماء الصّافي.

وأعرب: سقى القوم: إذا كان مرة غبًّا ومرة خمساً ثم قام على وجه واحد.

فهذه بعض المعاني التي احتفظت بها المعاجم لكلمة عرب، في مجال علاقتها بالماء والصفاء والبيان والوضوح وهي من مستلزمات الحضارة والتّقدّم.

وقبل أن نتناول المعاني التي احتملتها كلمة عرب غير المعاني التي لها علاقة بالماء والبيان والصفاء من أجل إثبات أن هناك حضارة عربية قبل الإسلام أحب أن أبين أن العبرانيين كانوا يتعامون عن دلالتها الحضارية ليثبتوا أنّ لها معنى واحداً، وهو الجفاف والبادية والصحراء، والأرض الفقيرة. ولا شك أن هذا متناقض مع النصوص القديمة في التوراة والتي أشرنا إليها سابقاً والتي تصف مساكن الكنعانيين مبيّنة أنهم يسكنون في أرض جيّدة ذات أمطار وعيون وأنها تفيض لبناً وعسلاً. وقد اتفقت نظرية «كيتاني» العلمية مع المعاجم اللغوية

العربية حينما أعطت لكلمة عَرَب معنى الماء. والأمطار، يقول الأستاذ معروف الدواليبي في بحثه عن العرب والحضارة الإنسانية: إنّ «كيتاني» قد تصور «بلاد العرب في الدورة الجليدية الأخيرة جنّةً بقيت محافظة على بهجتها ونضارتها مدّة طويلة، وكانت سبباً في رسم تلك الصورة البديعة في مخيّلة كُتّاب التوراة عن «جنة عدن» وأن «جنة عدن» المذكورة في العهد القديم هي هذه الجنة التي كانت في نظر «كيتاني» في داخل بلاد العرب، والتي يقول عنها في الجملة: «إنها بلاد كثيرة الأمطار، وكثيرة الأنهار، وكثيرة الأشجار»[1].

على أن اللغويين العرب تناولوا هذه الكلمة مسلّطين عليها أضواء التاريخ، معدّدين ما دار حولها من آراء من أجل الكشف عن ميلادها كيف جاءت؟ وكيف تطوّرت؟ وما العلاقات التي تربط بين الصيغ التي اشتقت من هذه الكلمة؟

كلمة عرب في ضوء المعاجم اللغوية:

١ ــ الجمهرة لابن دريد:

ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصريّ المتوفى سنة ٣٢١ هـ عمدة اللغويين، وقدوة المتأدبين تناول مادة: «عرب» في جمهرته فذكر أن: «العرب ضد العجم، وكذلك العُرْب والعُجْم».

وبيّن أن العرب العاربة سبع قبائل: عاد، وثمود، وعميق، وطسم، وجديس، وأميم، وجاسم، وقد انقرضوا كلهم إلا بقايا متفرّقين في القبائل.

---

(١) انظر تاريخ العرب لجواد علي/٥٩، وبحث العرب والحضارة الإنسانية للأستاذ معروف الدواليبي، مجلة لسان العرب: المجلد، السابع، الجزء الأول/٧٥.

والْعَرَبة: النّهر الشّديد الجَرْي. وإعراب الكلام: إيضـاح فصيحه[1] وفي الجَمْهرة أيضاً: العربيّة: اللّغة فتسمّى «حمير اللُّغَة:العربيّة» فيقولون هذه عربيّتنا أي لغتنا»[2].

٢ ــ لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرّم الأنصـاري المتوفى سنـة ٧١١ هـ:

في اللسـان : مادة : عـرب : العُرْبُ والْعَـرَب: جيلٌ من النـاس معروف خِلاف العَجَم[3].

والعرب العاربة. هم الخُلّص منهم، وأخذ من لفظه فأكّدَ به كقولك: لَيْلٌ لائلٌ.

والعربيُّ منسوبٌ إلى العَرَب وإن لم يكن بَدويًّا.

وعربيّ بيّن العروبة والعُروبيّة، وهما من المصادر التي لا أفعال لها.

وحكى الأزهري: رجل عربيّ إذا كان نسبـه في العرب ثـابتاً وإن لم يكن فصيحاً.

وتفرق المعاجم بين العـربيّ والأعرابيّ. فمن نـزل بلاد الـريف واستوطن المُدن والقُرى مِمّن ينتمي إلى العرب، فهم عرب وإن لم يكونوا فُصَحاء.

والأعرابيّ : هو البدويّ صاحب نجعة وارتياد للكلأ، وتتبّع لمساقط الغيث سواء كان من العرب أو من مواليهم.

والأعرابيّ إذا قيل له : يا عربيّ فرح بذلك وهشّ لهْ،والعربيّ إذا قيل له: يا أعرابيّ غَضِب له.

---

(١) انظر الجمهرة ١ / ٢٦٦.

(٢) المرجـــع نفسه ١ / ٢٦٧.

(٣) انظر اللسان : مادة : عرب.

التعريـــب:

ومن الصيغ المتعلّقة بكلمة عرب : التَّعريب، والتعريب كما يقول اللسّان: مادة «عرب»: لا يجوز أن يقال للمهاجرين والأنصار أعراب، إنما هم عرب، لأنهم استوطنوا القُرى العربيّة وسكنوا المدن سواء منهم الناشىء بالبدو، ثم استوطن القرى، والناشىء بمكة ثم هاجر إلى المدينة.

فإن لحقت طائفة منهم بأهل البدو بعد هجرتهم، واقتنوا نَعَماً وَرَعَوْا مساقط الغيث بعدما كانوا حاضرة أو مهاجرة قيل: قد تعرَّبوا، أي صاروا أعراباً بعدما كانوا عَرَباً.

ويتّفق اللسان مع الجمهرة في تسمية اللغة العربيّة بالعربيّة، يقول اللسان: والعربيّة هي هذه اللغة.

الآراء في كلمة العرب من حيث التسّمية:

لم تسكت المعاجم اللغوية عن البحث في هذه الكلمة، وسبب إطلاقها على هذا الجيل من الناس الذي يتكلّم العربية.

قال بعض اللغويين المؤرخين: سبب التسمية أن «يعرب» بن قحطان وهو أبو اليمن كلهم أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب، ومن يَعْرُب جاءت التسمية بـ«عرب».

وقيل إن أولاد إسماعيل نشأوا (بعربة)، وهي من تهامة فنسبوا إلى بلدهم.

وفي رأي الأزهريّ أنهم سموا عَرباً باسم بلدهم: (العَرَبات).

وقيل سمّوا كذلك لأنهم انتموا إلى بلدهم: «عربة». وفي تاج العروس ١٦/٣٤٤: و«عربة: قرية في أول وادي نخلة من جهة مكة، وأخرى في بلاد فلسطين، كذا في المراصد».

ويدللّ الزبيدي على صحة هذه التّسمية بقوله كما في تاج العروس:

«وأقامت قريش بعربة فتنخّت بها، وانتشر سائر العرب في جزيرتها، فنسبت العرب كلهم إليها، لأن أباهم إسماعيل صلى الله عليه وسلم بها نشأ، وَرَبَل أولاده فيها فكثروا، فلمّا لم تحتملهم البلاد انتشروا، فأقامت قريش بها».

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: «قريش هم أوسط العرب في العرب دَاراً. وأحسنه جواراً، وأعربه أَلْسِنَةً».

مناقشة رأي الأزهري:

ورأي الأزهري على وجاهته وجهت إليه اعتراضات وانتقادات. من هذه الانتقادات ما يأتي:

١ ــ المعروف في أسماء الأرضين أنها تنتقل من أسماء ساكنيها أو بانيها أو من صفة فيها أو غير ذلك.
وأمّا تسمية الناس بالأرض، ونقل اسمها إلى من سكنها أو نزلها دون نسبة فغير معروف.

٢ ــ قولهم سميت العرب باسمها لنزولهم بها صريح بأنها كانت مسمّاة بذلك قبل وجود العرب وحلولهم الحجاز... والمعروف في أراضي العرب أنهم هم الذين سمّوها ولقبّوا بلدانها ومياهها، وقراها وأمصارها، وباديتها وحاضرتها بسبب من الأسماء كما هو الأكثر، وقد يرتجلون الأسماء، ولا ينظرون لسبب.

٣ ــ ما ذكر يقتضي أن العرب إنما سميت بذلك بعد نزولهم في هذه القرية، والمعروف تسميتهم بذلك في الكتب السّالفة كالتوراة والإنجيل وغيرهما، فكيف يقال: إنهم سمّوا بعد نزولهم هذه القرية؟

٤ ـ المعروف في المنقول أن يبقى على نقله على التسمية، وإذا غُيِّر إنمّا يُغَير تغيُّراً جزئياً للتمييز بين المنقول والمنقول عنه في الجملة، والمنقول أوسع دائرة من المنقول عنه من جهات ظاهرة لكون أصل المنقول عنه «عـربة» بالهاء، ولا يقال ذلك في المنقول، ولكونهم تصـرفوا فيـه بلغات لا تعرف ولا تسمع في المنقول عنه، فقالوا: عَرَب محرّكة، وعُـرُب بضمتين، وأعراب وأعرابيّ وغير ذلك.

٥ ـ والعرب أنواع وأجناس وشعوب وقبائل متفـرّقون في الأرض لا يكـاد يأتي عليهم الحصر، ولا يتصوّر سكناهم كلهم في هذه القرية أو حلولهم فيها، فكان الأولى أن يقتصر بالتسمية على من سكنها دون غيـره.

الإجابة عن هذه الانتقادات:

إن إطلاق العرب على الجيل المعروف لا إشكال أنه قديم كغيره من أسماء باقي أجناس الناس وأنواعهم وهو اسم شامل لجميع القبائل والشعوب. ثم إنهم لما تفرقوا في الأرضين، وتنوعت لهم ألقاب وأسماء خاصّة باختلاف ما عرضت من الآباء والأمّهات والحالات التي اختصّت بها كقريش، مثلاً، وثقيف، وربيعـة، ومُضر، وكنانة، ونزار، وخزاعة، وقضاعة الخ . . . . فأوجب ذلك تمييز كل قبيلة باسمها الخاصّ، وتنوسي الاسم الذي هو العرب، ولم يبق له تداول بينهم ولا تعارف واستغنت كل قبيلة باسمها الخاصّ مع تفرّق في القبائل، وتباعد الشعوب في الأرضين.

ثم لما نزلت العرب بهذه القـرية في قـول أو قريش بـالخصوص في قـول راجعوا الاسم القديم وتذكّروه، وتسمّوا به رجوعاً إلى الأصل، ويدلّ على أنـه رجـوع للأصـل وتذكّـر بعد النسيان: أنهم جرّدوه من الهـاء الموجـودة في اسم

العربة، وذكّروه على أصله الموضوع القديم[1].

ولو نظرنا إلى الرسالات السماوية لراعنا أن الجزيرة العربية هي مهد الرسالات، والرسالات حضارة، وأية حضارة؟ ففي لسان العرب مادة: «عرب» أنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: خمسة أنبياء من العرب، وهم: محمد، وإسماعيل، وشعيب، وصالح، وهود صلوات الله عليهم».

وهؤلاء الأنبياء كلهم كانوا يسكنون بلاد العرب فكان شعيب وقومه بأرض قريش، وكان صالح وقومه بأرض ثمود، ينزلون بناحية الحجر.
وكان هود وقومه عاد ينزلون الأحقاف من رمال اليمن، وكانوا أهل عَمَد.
وكان إسماعيل بن إبراهيم، والنبي المصطفى ﷺ من سُكّان الحَرَم[2].

وبعـــــــد

فلعلي بعد هذه الجولة في الأصل التاريخي لكلمة عرب أكون قد وفيت حقها من البحث، وعليّ الآن أن أولّي قَلَمِي شطر لغة هؤلاء العرب لنعرف كيف نشأت، وكيف بدأت؟.

** .. ** .. **

---

(١) انظر هذا الرأي والاعتراضات التي وجهت إليه، ودفع هذه الاعتراضات وردّها في تاج العروس ٣/٣٤٤ ـ ٣٤٨.
(٢) انظر لسان العرب مادة: عرب ٢ / ٧٦، ٧٧.

الفصـل الثّاني
نشأة اللغة العربيّة وتفرّعها إلى لهجـات

طفولة اللغة العربية وتطوّرها:

اللغة كائن حيّ يـولد صغيراً، فينمو ويترعرع حتى يبلغ أشـده، ويؤتى أُكله. وليس من المعقول أن تكون للعرب في العصر الجاهلي حضارة كما أثبتنا ذلك بأكثر من دليل، ثم لا تكون لهم لغة يتحدّثون بها، ويتعاملون على أساسها في كل شؤون الحياة بـدروبها المختلفة، وميادينها المتعدّدة.

ولسـت أذهب بعيداً حينما أقول، إن اللغات المنتشرة في عالمنا المعاصر وفي العصـور القديمـة ذات أصل واحـد، ثمّ تشقّق هـذا الأصـل، إلى فـروع مختلفة كالشجرة التي تنشق عن الجذر، ثم تنمو فتتفرع، وكلها تنتمي إلى ذلك الجذر الذي أمدّها بالحياة ولذلك «يرى كثير من علماء اللسانيات أن أبناء نوح حـاولوا منـذ أزيد من خمسـة آلاف من السنين إقامـة بـرج سـامق في «بـابـل» «BABEL» للوصول إلى السّماء، ولكن الله عاقب هذا الطموح الأخرق، فخلق بلبلة في لغات كانت قبل ذلك موحّدة»[1].

---

(١) انظر مجلة اللسان العربي المجلد ٧ / ١ ص ٧.

ويعلّق الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله على هذه الرواية بقوله: «ومهما تكن قيمة هذه الأسطورة. فلا يبعد أن تكون البشرية بعد الطوفان قد انحسرت أبعادها، وانحصرت تخومها، واتّحدت وجهاتهاولغاتها،فبرزت منذ ذلك كثيرٌ من أوجه التّشابه بين لغات البشر من الآراميين والساميين والحاميين، ولا شك أن الإنسان الأول قد انطلق في نطقه البدائي من ثنيّات صوتية ردّد فيها الأصوات الطبيعية في حروف أصبحت مع الزمن جذوراً مشتركة بين المجموعات البشرية المذكورة».

ثم يضرب الأستاذ عبد العزيز بن عبدالله أمثلة لهذه اللغة الواحدة التي تفرّع أصلها إلى فروع مختلفة، ولنقتصر فقط على مثال واحد ممّا ذكر ليكون دليلاً واضحاً على قضية وحدة اللغة الإنسانية قديماً فـ«نظف» تقابلها في الفرنسية Nettoyer ، وأصلها: net .

وقد وضعت في القرن الثاني عشر الميلادي واقتبست منها كلمة net أي «واضح» أو «صاف» كما تقابلها في الروسية كلمة: natirat والجذر الثاني في هذه الكلمات هو «نط» (باعتبار أن الطاء في العربية تتعاقب مع الظاء تقول العرب:

شطى الميت وشظى: إذا انتفخ فارتفعت قوائمه، نط = نظ = net = nat .

أمّا التشابه مع الإنجليزية فإنه يتجلّى في مرادف آخر لكلمة نظف. وهو

صفيّ = toswab = nettoyer

صف = swa .

ولهذا وجب قبل التنظير والمقارنة استقصاء المرادفات في كل لغة»[1].

وأضع يدي في يد الباحث إزاء وحدة اللغات، لأنه من البدهي بعد عصر الطوفان أن ينحسر بنو الإنسان في رقعة واحدة من الأرض ليكوّنوا مجتمعاً متماثلاً لغة، وسلوكاً، وحياة.

وبمرور الزمن، وتقلبات الطبيعة، وتغيرات البيئة تفرق الجمع وانتشروا في أنحاء كثيرة على ظهر هذه الأرض، وكونوا مجتمعات جديدة تأثرت بالبيئة التي يعيشون فيها، فتطورت لغتهم الأم إلى لغات احتفظت بالأصول الأولى، ثم نمت وتطوّرت، فأصبحت لغات مستقلة فيما بعد.

والذي يعنينا من هذه اللغات اللغة الساميّة الّتي تنتسب إلى سام بن نوح.

«وهذه التسمية جاءت من عالم ألماني اسمه شلوثرت Schlotzer فهو أول من استعمل الساميّة في بحوثه في تاريخ الروم القديم، ويعود فضل إيجاده إلى شجرة أنساب البشر إلى أبناء نوح الثلاثة: سام، وحام، ويافث»[2].

اللغة العربية بين اللغات السامية:

يذكر المؤرخون أن اللّغات السامية تتكون من مجموعات:

السامية الشرقية: وهي البابلية ـ الأشورية.

الأكادية السامية الغربية: وهي: الكنعانية ـ الفينيقية ـ الآرامية ـ العبرانيّة ـ السّريانية ـ النّبطية.

---

(١) انظر بحث: الوحدة الأصلية بين اللغات لعبد العزيز بن عبدالله، مجلة اللسان العربي ١/٧ ص ٥ ـ ١٨.

(٢) انظر سفر التكوين الإصحاح العاشر، وانظر بحث اللغة العربية بين اللغّات السامية للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح، مجلة اللسان العربي، المجلد السابع جزء أول ص ٣٢.

السامية الجنوبية هي : العربيّة ـ المعينية ـ السبئيّة ـ الحميرية ـ الحبشية .

السامية الشمّالية : العربيّة ـ اللحانية ـ الثمودية ـ الصفوية .

ولا شك أن اللغات السامية تشترك فيما بينها في خصائص متعددة. ولكن العربية استطاعت عَبْر التاريخ أن تخطو خطوات واسعة نحو التطوّر والتّقدم حتى وصلت إلى ما قبل الإسلام إلى الذروة من التقدم والرّقي على حين تجمدت اللغات السامية الأخرى لتصبح أثراً بعد عيـــن.

ومن المنطق أن نقول: إن لغةً احتكّت بغيرها من اللّغات الأخرى فأثّرت فيها، ووصلت إلى هذه الدرجة من التطور لا بد أن تكون مورداً لغيرها من اللغات الأخرى، تمدّها بما تحتاج إليه من مفرداتها الواسعة، وبمرور الزمن استطاعت اللغة العربية أن تنشر مفرداتها في أنحاء كثيرة، ومواطن متعدّدة إلى أن قضت على أخواتها من اللغات الأخرى، لتصبح لغة الكتابة، ولغة الحديث، ولغة الحضارة.

يحدثنا عن هذا الصراع الذي أدّى إلى انتصار اللغة العربية على أخواتها من اللغات السامية الدكتور علي عبد الواحد وافي فيقول:

«وقد اشتبكت اللغات السامية نفسها في صراع بعضها مع بعض .

وأوّل صراع حدث بينها كان صراع الآرامية مع اللغات الأكادية والكنعانية، فقد اشتبكت في صراع مع الأكّاديّة أوّلاً، وقضت عليها في أول القرن الرابع ق . م. ثم صرعت العبريّة في أواخر الرابع ق. م. وتغلبت على الفينيقية بآسيا في القرن الأول ق. م .

والصرّاع الثاني كان صراع العربية مع أخواتها فقد اشتبكت في صراع مع اللغات اليمنيّة القديمة، وقضت عليها قبيل الإسلام، ولم يفلت من هذا المصير إلاّ بعض مناطق متطرّفة نائية ساعد انفرادها وانزواؤها على نجاتها، فظلت محتفظة بلهجاتها القديمة حتى العصر الحاضر.

ثم اقتحمت العربية على الآرامية معاقلها في الشرق والغرب وانتزاعها منها معقلاً معقلاً حتى تمّ لها عليها حوالي القرن الثامن الميلادي، ولم يفلت من هذا المصير إلا بعض مناطق جبليّة منعزلة لا تزال تتكلم اللهجة الآرامية إلى العصر الحاضر»[١].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فاللغة العربية التي انتشرت في أرجاء الجزيرة العربية، في عمقها، وفي أطرافها، وفي أنحاء مختلفة منها اتجهت بعد هذا الانتصار والانتشار إلى ذاتها،لتحدث صراعاً في لغتها الواحدة كما أدّى بها إلى أن تختلف في بعض صيغها، وتتباين في بعض تراكيبها ممّا أدّى آخر الأمر إلى تكوين لهجات مختلفة، لقبائل متعدّدة في الجزيرة العربية، ولأهميّة هذه اللهجات نخصّها بمزيد من البحث:

اللهجات العربية قبل الإسلام:

في ضوء المعاجم العربية نجد أن اللهجة هي طَرَف اللسان، أو جرْس الكلام، ويقال: فلان فصيح اللّهْجة، وهي لغته التي جُبل عليها، فاعتادها ونشأ عليها... وفي الحديث: «ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذر»[٢].

واللغة إذا «انتشرت في مناطق واسعة من الأرض وتكلّم بها جماعات كثيرة العدد، وطوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً، فلا تلبث أن تتشعب إلى لهجات، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطوّرها منهجاً يختلف عن منهج غيرها، ولا تنفك مسافة الخُلْف تتسع

---

(١) نشأة اللغة عند الإنسان والطفل للدكتور عبد الواحد وافي ٦٧ - ٦٨ .

(٢) انظر اللسان «لهج».

بينها وبين أخواتها حتى تصبح لغة متميزة مستقلة، وبذلك يتولّد عن اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من اللغات يختلف أفرادها بعضهم عن بعض في كثير من الوجوه، ولكنها تظل مع ذلك متفقة في وجوه أخرى.

ولهذا القانون خضعت اللغات الإنسانية منذ نشأتها إلى العصر الجاهلي»(١) .

واللهجة تعني في تراثنا اللغوي اللغة، فيقولون لغة تميم، ولغة هذيل ويعنون بذلك اللهجة المتطورة من اللغة الأم، يدلّنا على ذلك هذا الفصل الذي عقده السيوطي في المزهر حينما عنون له بقوله: النوع الحادي عشر: «معرفة الرديء والمذموم من اللغات».

«فلغة قريش خلت من مستشبع اللغات، ومستقبح الألفاظ»(٢).

ويضرب السيوطي أمثلة متعدّدة على اللغات المستقبحة، من ذلك الكشكشة وهي في ربيعة ومضر، يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيناً، فيقولون: رايتكش، وبكش، وعليكش، ومن ذلك الكسكسة، وهي في ربيعة ومضر: يجعلون بعد الكاف أو مكانها في المذكر سيناً.

ومن ذلك العنعنة، وهي في كثير من العرب في لغة قيس وتميم، يجعلون الهمزة المبدوءة بها عيناً، فيقولون في إنّك: عنّك، وفي أسلم: عسلم، وفي أذن: عذن.

ومن ذلك الفحفحة في لغة هذيل يجعلون الحاء عيناً.

ومن ذلك الوكْم في لغة ربيعة، وهم قوم من كلب يقولون: عليكِم وبكِم حيث كان قبل الكاف ياء أو كسره.

ومن ذلك الوهمْ في لغة كلب، يقولون: مِنهِم، وعنهِم وإن لم يكن قبل الهاء ياء أو كسرة.

---

(١) انظر نشأة اللغة عند الإنسان والطفل للدكتور عبد الواحد وافي ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٢) انظر المزهر ١ /٢٢١ .

ومن ذلك العجعجة في لغة قضاعة، يجعلون الياء المشدّدة جيماً، فيقولون في تميميّ: تميمجّ.

ومن ذلك الاستنطاء في لغة سعد بن بكر، وهذيل، والأزد وقيس، والأنصار تجعل العين الساكن نوناً إذا جاورت الطاء كأنطى في أعطى.

ومن ذلك الشنشنة ـ في لغة اليمن تجعل الكاف شيئاً مطلقاً! كلبيش في: اللهم لبيّك.

ومن ذلك الوتم في لغة اليمن، تجعل السين تاء كالنّات في الناس.

ومن العرب من يجعل الكاف جيماً كالجعبة يريد الكعبة....

وذكر الثعالبي في فقه اللغة اللَّخْلخانية ـ تَعْرض في لغة أعراب الشّحر وعُمان قولهم: «مشا الله كان» أي ما شاء الله كان، والطمطمانية تعرض في لغة حمير كقولهم: طاب أمهواء، أي طاب الهواء.

وفي الغريب المصنف يقال: حفرْتُ البئر حتى أَمَهْتُ وأَمْوَهت، وإن شئت: أمهيت، وهي أبعد اللغات فيها:

والمعنى: انتهيت إلى المـــاء.

وفي الجمهرة: تَدَخْدخ الرّجل: إذا انقبض لغة مرغوب عنها، ورضبت الشاة لغة مرغوب عنها، والفصيح: ربضت[1].

ولنا أن نتساءل ما المقاييس التي نستطيع على أساسها أن نتعرف اختلاف هذه اللهجات أو هذه اللغات؟

إن اختلاف اللهجات يخضع لمقاييس لاحظها اللغويون فوجدوا أنها تتمثل فيما يأتي:

---

(١) انظر المزهر ١ /٢٢١ ـ ٢٢٣.

١ ـ الاختلاف في الحركات نحو: نَستعين ونِسْتعين بفتح النون وكسرها قال الفرّاء: هي مفتوحة في لغة قريش، وأسد وغيرهم يكسرها.

٢ ـ الاختلاف في الحركة والسكون نحو: مَعَكم ومعْكم.

٣ ـ الاختلاف في إبدال الحروف نحو : أولئك وأولالك.

٤ ـ الاختلاف في الهمز والتّليين نحو : مستهزئون ـ ومستهزون.

٥ ـ الاختلاف في التقديم والتأخير نحو صاعقة صاقعة.

٦ ـ الاختلاف في الحذف والإثبات نحو استحييت واستحيت، وصددت وأصددت.

٧ ـ الاختلاف في الحرف الصحيح يبدل حرفاً معتلاً نحو: أمّا زيد، وأيما زيد.

٨ ـ الاختلاف في الإمالة والتفخيم مثل: قضى ورمى فبعضهم يفخم وبعضهم يميل.

٩ ـ الاختلاف في الحَرْف الساكن يستقبله مثله، فمنهم من يكسر الأول ومنهم من يضم نحو: ﴿اشتروُا الضلالة﴾(١).

ومنها: الاختلاف في التذكير والتأنيث، فإن من العرب من يقول: هذه البقر، وهذه النخل، ومنهم من يقول: هذا البقر، وهذا النخل.

ومنها: الاختلاف في الإعراب: نحو ما زيد قائماً، وما زيد قائم، وإن هذين، وإنّ هذان.

ومنها : الاختلاف في صور الجمع نحو: أسرى وأسارى.

ومنها : الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو: يأمرُكم ويأمرْكم، وعُفِي له. وعُفْي له.

---

(١) البقرة / ١٦.

ومنها : الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل : هذه أمّة، وهذه أمّتْ.
ومنها الاختلاف في الزيادة : نحو أَنْظُر وأنْظُورُ.
ومنها : الاختلاف في التضاد وذلك كقول حمير للقائم : ثب أي أقعد.
وفي الحديث أن عامر بن الطفيل قدم على الرسول ﷺ فوثّبه[1] وسادة، أي أفرشه إياها، والوثاب: الفراش بلغة حمير.

ومن الروايات المشهورة حول هذه الكلمة: أن زيد بن عبد الله بن دارم وفد على بعض ملوك حمير، فألفاه في متصيّد له على جبل مشرف، فسلم عليه وانتسب له، فقال له الملك: ثِبْ أي اجلس، وظن الرجل أنه أمر بالوثوب من الجبل، فقال: ستجدني أيها الملك مطواعاً، ثم وثب من الجبل فهلك، فقال الملك: ما شأنه؟ فخبروه بقصته، وغلطه في الكلمة فقال: أما أنه ليس عندنا عربيّتْ[2]، من دخل ظفارِ حمّر أي فليتعلّم الحميرية[3].

بعد هذا العرض الذي قدمه لنا السيوطي في«المزهر»عن اختلاف اللغات أو اللهجات يمكننا أن نقول: إن هذه الاختلافات لا تمسّ جوهر اللغة الواحدة من حيث البِنْية، ومن حيث الجذور، ومن حيث الاشتقاق، هي اختلافات يسيرة ترجع إلى ما يأتي:

١ ــ عوامل اجتماعية وسياسية تتعلق باستقلال المناطق التي انتشرت فيها اللغة بعضها عن بعض، وضعف السلطان المركزي الذي كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات، وذلك أن اتساع الدولة، وكثرة المناطق التابعة لها، واختلاف الشعوب الخاضعة لنفوذها، كل ذلك يؤدي غالباً إلى ضعف

---

(١) أي ألقاها له.
(٢) يريد العربية فوقف على الهاء بالتاء، وكذلك لغتهم.
(٣) لخص هذا البحث بتصرف من المزهر ١ / ٢٥٥ ـ ٢٥٧.

سلطانها المركزيّ، وتفككها من الناحية السّياسية، وانقسامها إلى دويلات أو دول مستقل بعضها عن بعض، وغنيّ عن البيان أن انفصام الوحدة السياسية يؤدي إلى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية.

٢ ـ عوامل اجتماعية نفسية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في النظم الاجتماعية، والعُرْف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة، ومناحي التفكير والوجدان، فمن الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردّد صداه في أداة التعبير.

٣ ـ عوامل جغرافية: تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الجوّ، وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها، فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدّي عاجلاً أو آجلاً إلى فروق وفواصل في اللغات.

٤ ـ عوامل شعبيّة تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الأجناس والفصائل الإنسانية التي ينتمون إليها، والأصول التي انحدروا منها، فمن الواضح أن لهذه الفروق آثاراً بليغة في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات.

٥ ـ عوامل جسمية فيزيولوجية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في التكوين الطبيعي لأعضاء النطق، فمن المحال مع فروق كهذه أن تظل اللغة محتفظة بوحدتها الأولى أمداً طويلاً(١).

بعد هذا التحليل الرائع للعوامل المباشرة في تفريع اللغة العربية لأستاذنا الدكتور عبد الواحد وافي يتردد في نفوسنا سؤال وهو: هل هذه اللغات على درجة متساوية من الصحة اللغوية فيجوز الاستشهاد بها، وبناء الأساليب على لهجتها أو هي متفاوتة في الاستعمال فمنها القويّ ومنها الضعيف، ومنها المقبول ومنها المردود؟

---

(١) انظر نشأة اللغة عند الإنسان والطفل للدكتور عبد الواحد وافي ١٠٥ ـ ١٠٦.

الواقع كان للغويين منهج أمام الأخذ من هذه اللغات أو رفضها وهو منهج واضح المعالم، بيِّن السّمات يقوم على نهج علمي دقيق يضع الأمور في نصابها.

ويتلخص هذا المنهج في النقاط الآتية:

١ ـ اللغات مهما اختلفت فهي مقبولة ومن الممكن الاحتجاج بها في بناء القاعدة واستنباط الدليل، فإعمال «ما» النافية عند الحجازيين، وإهمالها عند التميميين مقبول في كلتا اللغتين لأن القياس يقبلهما.

٢ ـ اختلاف المقاييس قوة وضعفاً لا يؤدي إلى رفض اللغات والاحتجاج بها، ولكن من حق اللغوي أن يختار فقط ما هو أقوى دليلاً،وأثبت قياساً.

٣ ـ إذا كان هناك بُعْد في اللغتين بأن قَلَّت إحداهما وكثرت الأخرى، فمن حق اللغوي أن يأخذ بأقواهما رواية وقياساً، وليس معنى ذلك أن اللغة التي ضعفت روايتها، وَوَهَى قياسها مرفوضة لا تؤخذ ولا يحتج بها، وإنما الموقف فقط موقف اختيار لا إجبار.

ولنستمع إلى ابن جني ماذا يقول في هذه القضية؟

يقول في الخصائص في باب «اختلاف اللغات وكلها حجة» ما نصه:

«اعلم أن سعة القياس تتيح لهم ذلك، ولا تحظّره عليهم، ألا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال «ما» يقبلها القياس، لغة ـ الحجازيين من إعمالها كذلك، لأن لكل واحد من القومين ضرْباً من القياس يؤخذ به، ويخلد إلى مثله،وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها، لكن غاية مالك في ذلك أن تتخيّر إحداهما فتقوّيها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها، وأشد أُنْساً بها، فأما ردّ إحداهما بالأخرى فلا، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ. . . . . «نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف» ؟

هذا حكم اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين.

فإمّا أن تقلّ إحداهما جداً،وإمّا تكثر الأخرى جداً،فإنك تأخذ بأوسعهما رواية، وأقواهما قياساً، الأتراك لا تقول: مررت بَكَ ولا المال لِكَ قياساً على قول قضاعة: المال لِهُ، ومررت بَه، ولا تقول: «أَكْرَمْتُكِشْ وَلاَ أَكْرَمْتُكِسْ» قياساً على لغة من قال: «مررت بِكِش وعجبت مِنكِسْ»[1].

بهذا النص نستطيع أن نحترم لغات العرب جميعاً قبل الإسلام، لأنها صورة صادقة للعربية التي تشعّبت إلى لهجات تشققت من اللهجة أو اللغة الواحدة فرميها بالضعف، ووسْمُها بالخطأ تحكُّمٌ في المنهج، واستبدادٌ في الرأي.

ونحن لو نظرنا إلى القراءات القرآنية نجد أن معظم هذه القراءات يرجع إلى هذه اللّهجات العربيّة التي انتشرت إلى وحدات لغوية في الجزيرة العربيّة، وبينها وشائج قربى، ولُحْمَةُ نسب، وحبلٌ متين يربط قواعدها الأصلية، وتراكيبها المتجانسة اللهم إلا في القليل النادر الذي لا تسلم فيه لهجة من اللهجات بسبب العوامل التي أشرت إليها سابقاً.

والذي يدل على أن هذه اللهجات روعيت في القراءات القرآنية (معجم القراءات)[2]، الذي بين أيدينا، فلو تصفحنا هذا المعجم ابتداء من سورة الحمد، وانتهاء بسورة الناس لراعنا أنّ الكثرة الغالبة من القراءات القرآنية جاءتْ وفق معظم لهجات الجزيرة العربيـــة.

وعقد السيّوطي في الإتقان باباً حول الكلمات التي وردت في القرآن الكريم بغير لغة الحجاز فقال: «أخرج أبو عبيد من طريق عكرمة بن عباس في قوله: ﴿وأنتم سامدون﴾[3]، قال: الغناء، وهي يمانية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة هي بالحميرية.

---

(١) الخصائص ٢ / ١٠.

(٢) تأليف د/أحمد مختار عمر،ود/عبد العال سالم مكرم - نشر جامعة الكويت الطبعة الأولى.

(٣) النجم / ٦١.

وأخرج أبو عبيد عن الحسن، قال: كنا لا ندري: ما الأرائك[1]؟ حتى لقينا رجل من أهل اليمن، فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها السرير.

وأخرج عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿لا وزر﴾[2]، قال: لا جبل، وهي بلغة أهل اليمن.

والتعدية بحرف الجر في الفعل زوج هي لغة يمانية، فعن عكرمة قال في قوله تعالى: ﴿وزوجناهم بحور﴾[3]: هي لغة يمانيّة، وذلك أن أهل اليمن يقولون: زوجنا فلاناً بفلانة: قال الراغب في مفرداته: ولم يجيء في القرآن زوجناهم حوراً كما يقال: زَوّجتة امرأة تنبيهاً على أن ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما بيننا بالمناكحة.

وأخرج عن الحسن في قوله تعالى: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾[4]، قال: اللهو بلسان اليمن: المرأة.

وأخرج عن الحسن في قوله تعالى: ﴿ونادى نوح ابنه﴾[5]، قال: هي بلغة طيىء: ابن امرأته، قال: وقد قرىء «ونادى نوحٌ ابنها» وهي قراءة عليّ، وعروة ابن الزّبير، وعكرمة[6].

والوزر في قوله تعالى: ﴿لا وزر﴾[7] ولد الولد بلغة هذيل.

---

(١) الكهف / ٣١ وغيرها.
(٢) القيامة / ١١.
(٣) الدخان / ٥٤.
(٤) الأنبياء /١٧.
(٥) هود / ٤٢.
(٦) انظر معجم القراءات ٣ ص ١١٢ قراءة رقم ٣٥٦٣.
(٧) القيامة / ٧.

وفي قوله تعالى: ﴿ألم ييأس﴾[1]: أفلم يعلم بلغة هـوازن.

وبلغة جرهم: ﴿فباءوا﴾[2]: استوجبوا.

وبلغة مذحج: الرّفث: الجماع في قوله تعالى: ﴿فلا رفث﴾[3].

وبلغة خثعم: ﴿تُسيمون﴾[4]: ترعون.

وبلغة قيْس غيلان: نِحْلة [5]: فريضة.

وبلغة كندة: ﴿فجاجاً﴾[6]: طرقاً.

وبلغة غسّان: ﴿طفقا﴾[7]: عمدا.

وبلغة مزينة: ﴿لا تغلوا﴾[8]: لا تريدوا.

وبلغة سليم ﴿نكص﴾ [9]: رجع.

وبلغة تميم: ﴿أمداً﴾[10]: نسياناً.

ونكتفي بهـذه الأمثلة المحـددة، وهي قليـل من كثيـر نصّ عليـه العلمـاء كـالسيوطي في الاتقـان، وقد نص السيـوطيّ على أنه رأى في الكلمـات التي جاءت في القرآن من غير لغة الحجاز تأليفاً مفرداً.

وقـد بلغ الأمر إلى أن أبـا بكر الـواسطي يعلن في كتـابـه: «الإرشـاد في القراءات العشر» أن في القرآن خمسين لغة، وعدّد هذه الخمسين فقـال: «لغة

---

(١) الرعـد / ٣١.

(٢) البقـرة / ٩٠.

(٣) البقـرة /٩٧.

(٤) النحـل / ١٠.

(٥) النسـاء / ٤.

(٦) الأنبيـاء / ٣١.

(٧) الأعـراف / ٢٢.

(٨) النسـاء / ١٧١.

(٩) الأنفـال / ٤٨.

(١٠) آل عمران/ ٣٠، وغيرها.

قريش، وهذيل، وكنانة، وخثعم والخزرج، وأشعر، ونُمير، وقيس عيلان، وجرهم، واليمن، وأزدشنوءة، وكندة،وتميم، وحمير، ومدين، ولخم، وسعد العشيرة، وحضرموت، وسدوس،والعمالقة، وأنمار، وغسَّان، ومذحج،وخزاعة، وغطفان، وسبأ، وعمان، وبنوحنيفة، وثعلب، وطيىء، وعامر بن صعصعة وأوس، ومزينة، وثقيف، وجزام، وبلى، وعذرة، وهوازن، والنّمر، واليمامة(١).

هذه اللغات المتعددة في القرآن الكريم علام تدل؟ لا شك أن القرآن نزل بلغة العرب جمعاء، لأنه تحدّى العرب جميعاً، ولم يتحَدّ قريشاً وحدها، فكان من مقتضيات التّحدي أن يضم القرآن الكريم كثيراً من الكلمات والتركيبات التي انفردت بها القبائل في اللهجات، على أننا لا ننكر أن معظم ما في القرآن الكريم نزل بلغة قريش، لأن قريشاً تعتبر لغتها اللغة النموذجية الأدبية، وهي لغة البيان والفصاحة، لغة الشعر بحسن تراكيبه، وجمال تقاسيمه، ورشاقة ألفاظه، وسمو معانيه.

وقد تكوّنت لغة قريش لتكون لغة الأدب والشعر في أزمناً متعدّدة مرّت فيها بتجارب كثيرة حتى لانت ألفاظها، ورقت كلماتها، وعذبت صيغها، وأشرقت معانيها مما جعلها قمة القمم في بلاغةالتراكيب، وفصاحة الألفاظ، أما عوامل تكوينها فهذا ما نتحدث عنه في النقطة التالية:

لغة قريش أو لهجتها في ظلال التاريخ:

كانت لغة قريش أو لهجتها ذات سيادة على اللهجات العربية الأخرى فكما قلت:استطاعت أن تصل إلى هذه السيادة بعد مراحل عديدة من احتكاك

---

(١) انظر الإتقان ١ / ١٣٣ ـ ١٣٤.

اللهجات العربيّة بها، فكانت لهجة قريش تأخذ من هذه القبائل ما تحتاج إليه حتى تم تكوينها، وسهل قيادها، وكمل تهذيبها.

أما العوامل التي جعلت للهجة قريش هذه السيادة فقد بينها الدكتور عبد الحليم النجار في بحث له نشر بمجلة الأزهر وأرجعها إلى ما يأتي:

١ ــ «العامل الجغرافي: لأن قريشاً تسكن منطقة مستقلة تسمى حجازاً لها يقيها التأثّر البعيد بالمؤثرات الخارجية، ومن هنا احتفظت بخصائصها اللغوية، ولم تأخذ من قبائل العرب إلا بالقدر الذي يروقها.

٢ ــ العامل الديني: فقد كانت قريش سدنَةَ البيت، والبيت محجة العرب في الجاهلية.

٣ ــ العامل الاقتصاديّ: فمعظم تجارة العرب كانت في أيدي قريش يجوبون بها أطراف الجزيرة شمالاً وجنوباً، ومجامع العرب وأسواقها بعد الحجيج كانت تعقد على مقربة من مكة.

٤ ــ العامل السياسيّ: وهو مرتّب على كل ما تقدّم، وقد يسّر ذلك كله لقريش أسباب النفوذ في أنحاء الجزيرة»[١].

وفي معرض فصاحة قريش يقول ثعلب في أماليه: «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء، وكسكسة ربيعة، وكشكشة هوازن... وعجرفية ضبّة، وفسّر تلتلة بهراء بكسر أوائل أفعال المضارعة»[٢].

على أن أبا نصر الفارابي في أول كتابه: المسمّى بـ «الألفاظ والحروف» بين سبب فصاحة هذه اللغة، وعلو مكانها بأنّها كانت تختار من لهجات العرب الذين يفدون إلى البيت الحرام في موسم الحج ما فصح من الألفاظ، وما سهل على اللسان عند النطق حتى تكونت لهم هذه اللهجة التي هيئت وأعدت،

---

(١) مجلد ٢٣ : ص ٤٩ وما بعدها.

(٢) المزهر ١ / ٢١١.

وارتقت وتطوّرت إلى أن كانت مؤهلة لأن تستقبل المعجزة الكبرى معجزة القرآن الكريم بلغة من تراكيب لغتها وألفاظ من جنس ألفاظها وأسلوب من نسج أسلوبها ولكن مع ذلك الفرق كبير بين لغة السماء ولغة الأرض مما جعلهم يخرّون للأذقان سجداً لروعة هذه اللغة السماوية التي نزلت على سَنَنِ لغتهم تعبيراً وألفاظاً ومع ذلك فسموّ التعبير القرآني، وجزالة اللفظ القرآني، وإبداع الكلمة القرآنية أمر ليس في متناول ألسنتهم وأفكارهم.

يقول أبو نصر الفارابي : «كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح[1] من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانةً عما في النفس»[2].

ويعرف ابن فارس في كتابه «الصاحبي» للغة قريش قدرها في بلاغة القول، وفصاحة اللفظ، وسموّ المعنى فيقول: «أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالّهم: أن قريشاً أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب، واصطفاهم، واختار منهم نبيّ الرحمة محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم، فجعل قريشاً قُطّان حرمه، وجيران بيته الحرام وولاته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحجّ، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم، وكانت قريش تعلّمهم مناسكهم وتحكم بينهم.

ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسمّيها: أهْلَ الله، لأنهم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام، ولم تشبهم شائبة... فضيلة من الله - جل ثناؤه - لهم وتشريفاً إذ جعلهم رهط نَبِيِّه الأدنين، وعترته الصالحين. وكانت قريش مع فصاحتها، وحسن لغاتها، ورقة ألسنتها - إذا أتتهم الوفود من العرب

---

(١) الانتقاد : تمييز الدراهم وغيرها، وقد تكون انتقاء بمعنى اختياراً. انظر المزهر ١/ ٢١١.

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

تخيّـروا من كلامهم وأشعـارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كـلامهم، فاجتمـع ما تخيّـروا من تلك اللغات إلى نحـائزهم وسـلامتهم التي طبعوا عليهـا، فصاروا بذلك أفصح العرب[1]. على أن هذه السّيادة للّهجة القرشيّـة ليس معناهـا أن قريشاً فرضت لهجتها فرضاً، فاللهجات التي يحتكّ بعضها ببعض تتأثر كل لهجة منها بالأخـرى منتصرة كـانت أو غير منتصـرة، لأن قوانين اللغـات أو اللهجات تقرّر: «أن اللغة المنتصرة لا تخرج سليمة من صراعها، بل إن طول احتكاكها باللغات الأخرى، وشدة كفاحها معهـا، وما تُبْـديه بعض اللغـات المقهورة من مقاومة. كل ذلك وما إليه يترك في اللغة الغالبة أثاراً كثيرة من اللغات المغلوبة في نواحي الأصوات والقواعد والأساليب، وينقل إليها كثيراً من مفرداتها ويبدو هذا التأثر بأوضح صوره في النواحي التي تعوز اللغة الغالبة. فاللغة الغالبة تعمد في العادة إلى خصمها المقهور، فتمتص منه ما تحتاج إليه، وتسلبه ما يعوزهـا قبل أن تجهز عليه»[2].

ومعنى هـذا أن لهجة قـريش اشتملت على خصـائص كثيـرة من لهجـات القبائل العربية الأخرى، فإذا قلنا: إن القرآن الكريم نزل بلغة قريش فإنما نعني أنه نزل باللغة الأدبيّة النموذجية القرشية التي تكونت بعد مراحل متطوّرة ،والتي اشتملت على كثير من خصائص لهجات العرب الأخرى.

وبهـذا الاعتبار لا تصبـح لغة قـريش غريبـة على ألسنة وأسمـاع القبـائـل الأخرى، ومن ثم نزل القـرآن الكريم بهـا ليكون معجـزاً للعرب جميعـاً. وإذا كانت لغات العرب كلها حجة، كما قدمنا وأثبتنا بالنصوص اللغوية، وإذا كانت

---

(١) الصاحي في فقه اللغة ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) انظر أثر القراءات في الدراسة النحوية للدكتور عبد العال سالم مكرم، ص١٥، طبعة ثانية وفقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ١١٢ طبعة ثالثة.

قريش أفصح لهجة، وأبين لغة بالنسبة للهجات العرب أو لغـاتها، فهـل لغات العرب غير القرشية على مستوى واحد من الفصاحة، وإذا كـان هناك اختلاف بينها في هذا المجال فما الأسس التي تقوم عليها الفصاحة، ومـا القبائـل التي توصف بها؟ ذلك ما سنجيب عنه في النقطة التاليـــة:

القبائـــل الفصحيـــــة:

قبل أن نتحدث عن هذه القبائل وتعدّدها يتوارد على أذهاننا سؤال وهو: ما الفصاحـــــة؟

الفصاحة في اللغة هي البيان، يقال: فصح الرجل فهـو فصيح، وتقـول: كلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طلق[1].

ويضع أبو الحسن علي الجرجاني حدوداً للفصاحة في الكلمة المفردة وفي الكـلام فيقول: «الفصـاحة في اللغـة: عبارة عن الإبـانة والـظهـور، وهي في المفرد: خلوّه من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس،وفي الكلام خلوصه عن ضعف التأليف، وتنافر الكلمات مع فصاحتها، ولم يكتف الجرجاني بذلك بـل تحدث عن فصـاحة المتكلم فقـال: هي ملكة يقتـدر بها على التعبيـر عن المقصود بلفظ فصيح»[2].

وخلاصة هذه الأقوال أن الفصاحة هي :الإبانة والوضوح في مفردات الجملة أو في تراكيبها أو في التعبير عنها.

---

(١) انظر اللسان: فصح.

(٢) انظر التعريفات للجرجاني ص ٨٩.

ولست بصدد الحديث عن البلاغة والفصاحة هل هما مترادفان أو أن هناك فروقاً بينهما، لأن هذه الموضوعات مجالها البحث البلاغي لا البحث اللغوي والنحوي، وقد أشبع علماء البلاغة هذه القضية بحثاً ومناقشة وحواراً.

والذي يعنيني هنا أن اللغويين نظروا إلى بعض القبائل فوصفوها بالفصاحة، ووسموها بالبيان، وجعلوا ما تتكلم به هذه القبائل حجة لا تدافع، ودليلاً لا ينازع، لأنه من هذه القبائل أخذت اللغة، ومن أفواه رجالها تلقف اللغويون كل ما يقولون، وقد عدّدوا هذه القبائل وحصروها في قبائل معيّنة.

يقول أبو نصر الفارابي في كتابه المسمى بـ«الألفاظ والحروف»: «والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدى، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتّكل في الغريب، وفي الإعراب والتصريف. ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم».

أما القبائل التي وسمت لغاتها بالضعف ولهجاتها بالقبح، فإن اللغويين يتجنبون الأخذ عنهم، والرحلة إليهم ليسمعوا قولهم، ويسجلوا كلامهم، لأنهم لا يحملون اللغة الصافية، ولا يتكلمون اللهجة الخالصة من شوائب وعيوب دخلت لغاتهم، وتسربّت إلى لهجاتهم.

يقول أبو نصر الفارابي في الموضع نفسه معدّداً القبائل التي لا تؤخذ عنها اللغة لعيوب لحقت بها، وظروف خضعت لها ما نصه: «وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضريّ قط، ولا عن سكان البراري ممّن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حوْلهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم، ولا من جزام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة وغسان لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من عبد القيس

وأزدعمان، لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم. ولا من حاضرة الحجاز، لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم»(١).

رأي ومناقشة :

في رأيي أن هذه النصوص التي أوردها السيوطي في المزهر نقلاً من كتاب «الألفاظ والحروف» لأبي نصر تبدو متناقضة، لأنه ذكر أن قريشاً «كانت أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، وأسهلها في اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عما في النفس» كما مرّ بيانه سابقاً .

على أنه ليس من المنهج العلميّ أن أدعي أن اللهجة القرشية تختلف اختلافاً كبيراً عن غيرها من لهجات العرب لسبب واضح وهو أن معرفتنا باللهجة القرشية غير كاملة، فليس لنا معجم يوضح رصيدها من الكلمات، حقّاً : إن هناك محاولات لدراسة خصائص اللهجات العربية، ولكنها محاولات تخطىء وتصيب، وليس لها من المراجع التي تعتمد عليها غير المعاجم. ونحن نعلم أن جمع المعاجم لم يكن مبنيًا على خطة واضحة أو على منهج سليم، لأن هذه المعاجم لم تحاول أن تصنّف القبائل، وتنسب كل لفظ إلى مصدره اللهم إلا إشارات محدودة لا تغني شيئاً في مجال الدراسات اللغوية»(٢).

---

(١) انظر هذه النصوص في المزهر ١ / ٢١١ ، ٢١٢ .
(٢) انظر من الدراسات القرآنية للدكتور عبد العال سالم مكرم / ٤٢ .

على أنني لا أذهب بعيداً في هذه القضية مُدّعياً أن لكل لهجة قواعدها الخاصة، واستقلالها الذاتي، لأن هذا متناف مع واقع القبائل في الجزيرة العربية قبل الإسلام.

إن اللغة واحدة والاختلافات يسيرة قد أشرنا إلى بعضها سابقاً ومعظمها يرجع إلى صفات الحروف من جهر وهمس، وتفخيم وترقيق، وتحقيق همْز وتسهيل، وهذا أمر طبعيّ يقتضيه التّطور اللغوي، وكانت كلمة منصفة تلك هي كلمة الدكتور «غوستاف لوبون» في كتابه : حضارة العرب حيث يقول:

«واللغة العربية من أكثر اللغات انسجاماً، وهي مختلفة اللهجات - لا ريب - في سوريا، وجزيرة العرب، ومصر والجزائر وغيرها ولم يكن هذا الاختلاف في غير الأشكال، فترى المراكشيّ يفهم بسهولة لهجة المصريين أو لهجة سكان جزيرة العرب مثلاً مع أن سكان القرى الشمالية الفرنسية لا يفهمون كلمة من لهجات سكان القرى الجنوبية في فرنسا»[1].

ويؤكد «غوستاف لوبون» هذه القضية بشهادة رجل متخصص في اللغات واللهجات، وهو الرحالة «بركهارد» الذي يعتبر حجة في هذا الموضوع حيث يقول: «نجد اختلافاً لا ريب في لهجات اللغة العربيّة العاميّة أكثر من أية لغة أخرى، ولكنه لا يصعب عليك أن تفهمها جميعاً إذا ما تعلمت إحداها، وذلك على الرّغم من اتّساع البلدان التي يتكلّم أهلوها بها»[2].

** .. ** .. **

---

(١) انظر حضارة العرب لغوستاف لوبون ص ٤١.

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

الفصـــل الثالث
من الظّواهر اللُّغويّة في اللّهجات العربية

في ضوء ما قدّمت من أن اللهجات العربيّة لهجات متقاربة وأن الاختلافات بين هذه اللّهجات ما هي إلاّ اختلافات يسيرةٌ، لا تُعطِّل مسيرة اللّغة العربية في تقدّمها وتطوُّرها، فوشائج القربى بين اللهجـات متلاحمـة، والبناء اللغـوي في أصوله، وقوانينه متكامل.

وقد لمس هذا المعنى ابن جنّي حينما أشار إلى هذه الاختلافـات اليسيرة بقوله:

«فإن قلت: زعمت أن العرب تجتمع على لغتها، فلا تختلف فيها وقد نراها ظـاهرة الخـلاف، ألا ترى أن الخـلاف في «ما» الحجـازيـة والتميميّـة، وإلى الحكاية في الاستفهام عن الأعلام[1] في الحجازية، وترك ذلك في التميميّة إلى غير ذلك.

---

(١) انظر كتاب سيبويه ٢/٤١٣ تحقيق الأستاذ هارون حيث ذكـر سيبويـه «أن أهل الحجـاز يقـولون إذا قـال الرجـل: رأيت زيداً: مَنْ زيـداً؟ وإذا قال مـررت بزيـد، قالـوا: من زيدٍ . ؟وأما بنـو تميم فيرفعـون ذلك على كـل حـال، وهـو أقيس القـولين»، وانـظر أيضاً شرح الرضى على الكافية ٢/٦٣.

قيــل : هذا القدر من الخلاف لقلته ونـزارته محتقـر غير محتفـل به، ولا يتعيج[1] عليه، وإنّما هو في شيء من الفروع يسير.

فأمّا الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه، ولا مذهب للطاعن به، وأيضاً فإن أهل كل واحدة من اللغتين عدد كثير وخلْق من الله عظيم، وكلّ واحد منهم محافظ على لغته، لا يخالف شيئاً منها، ولا يوجد عنده تعادٍ فيها.

فهل ذلك إلا لأنهم يحتاطون، ويقتاسون، ولا يفرطون، ولا يخلطون.

ومع هذا فليس شيء مما يختلفون فيه ـ على قلته وخفته ـ إلا له من القياس وجهٌ يؤخذ به.

ولو كانت هـذه اللغة حَشْـواً[2] مكِيلاً، وَحَثْواً[3] مَهِيلاً[4] لكثـر خلافهـا، وتعادت أوصافها، فجاء عنهم جرّ الفاعل، ورفع المضاف إليه، والمفعول به، والجزم بحروف النصب، والنصب بحروف الجزم، بل جاء عنهم الكـلام سدى غيـر مُحَصّل، وغُفْـلاً من الإعراب، ولاسْتُغْنِيَ بـإرسالـه وإهمالـه عن إقـامـة إعرابه»[5].

هذا النص الرائع لابن جنّي يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن اللغة مَصُونة، وقواعدها ثابتة، وإذا حدث خلاف يسير فهو الخلاف الذي لا يؤبه بـه، لأنه لا يمس جوهر اللغة، ولا يحدث بلبلة في التراكيب أو فوضى في الأساليب.

---

(١) في القاموس من قولهم : ما عجت به. لم أرض به، وما عجت بالدواء، أي لم أنتفع.
(٢) الحشو : الرديء من كل شيء.
(٣) الحثـو : التراب أو الرمل.
(٤) المهيل : في القاموس : من هال عليه التراب فانهال أي فـقط.
(٥) الخصائص : ١ / ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

ونستطيع أن نرجع هذه الخلافات اللهجية إلى ظواهر لغـوية متعـددة، من هذه الظواهر. . :

(١) ظاهرة الدلالـــة :

والدّلالة هي: المعنى الذي تحملـه الكلمة، وقـد يغمض هذا المعنى عنـد قبيلة من القبائل على حين يتضح معناه، ويعرف فحواه عند قبيلة أخرى.

وأحب هنا أن أشير إلى أن الدلالات مختلفة بحسب الحقل الذي تـدرس فيـه، وقد وضع النقاط على الحروف في معنى الدلالة أبو الحسن الجرجاني في كتابه «التعريفات» فيقول:

«الـدلالة : هي كـون الشيء بحالـة يلزم من العلم به العلم بشيء آخـر، والشيء الأول هو الدّال ، والثاني هو المدلول.

وكيفيـة دلالة اللفظ على المعنى بـاصطلاح علمـاء الأصول محصـورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص».

ومضى الجـرجاني يفسّـر هـذه الاصـطلاحـات على هـذْي علم الأصـول وقواعده، ثم انتقل بعد ذلـك ليتحدث عن الـدّلالة اللّفـظيّة الـوضْعِيّة فيقـول: «الدلالة اللفظية الوضعية: هي كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منـه معناه للعلم بوضعه».

وهي المنقسمة إلى المطابقة،والتضمن، والالتزام، لأن اللفظ الدّال على الوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جـزئه بـالتّضمّن، وعلى ما يلزمـه في الذهن بـالالتزام كـالإنسـان فـإنـه يـدل على تمـام الحيـوان النـاطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى قابل العلم بالالتزام»[١].

---

(١) التعريفات / ٥٥ ـ ٥٦.

والدلالة عند المحدثين لدى التحليل والتدقيق لا تخرج عن الإطار الذي وضعه القدماء للدلالة، ولا أدل على ذلك من تعريف أستاذنا الدكتور علي عبد الواحد وافي للدلالة بقوله:

«تطور يلحق معنى الكلمة نفسه كأن يخصص معناها العام، فلا تطلق إلا على بعض ما كانت تطلق عليه من قبل، أو يعمم مدلولها الخاص فتطلق على معنى يشمل معناها الأصلي، ومعاني أخرى تشترك معه في بعض الصفات، أو تخرج عن معناها القديم فتطلق على معنى آخر تربطه به علاقة ما، وتصبح حقيقة في هذا المعنى الجديد بعد أن كانت مجازاً فيه، أو تستعمل في معنى غريب كل الغرابة عن معناها الأول.. وهلم جرًا»(١).

واضح من النصين في معنى الدلالة التقارب في الفكرة، والتشابه في المعنى.

وخير مثال يوضح لنا اختلاف دلالات الكلمات في بعض اللهجات العربيّة تلك القصة التي ذكرها «اللسان» في مادة: «وثب» يقول اللسان: الوثب: الطّفْر، وثب يثب وثباً، ووَثَباناً، ووثوباً ووثاباً ووثيباً: طفر، ثم قال:

والوثوب: القعود بلغة حِمير، يقال: ثِبْ، أي اقعد، ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير، فقال له الملك: ثب أي اقعد، فوثب فتكسر، فقال الملك ليس عندنا عربيت، من دخل ظفار حمّر، أي تكلم بالحميرية، وقوله: عربيت: يريد العربية، فوقف على الهجاء بالتاء، كذلك لغتهم»(٢).

** .. ** .. **

(١) علم اللغة / ٣١٤.

(٢) وانظر الخصائص ٢ / ٢٨، حيث ذكر هذا النص أيضاً.

نماذج من اختلاف الدلالات:

أ ــ من اللهجة اليمنيّـــة :

على الرغم من أن لغة حمير في اليمن لغة قديمة قد باعد الزمن بينها وبين لغة ابني نزار، وهما ربيعة ومضر على حد تعبير ابن جنّي في الخصائص[1]، إلا أنها أمدت لغة ابني نزار بكلمات متعدّدة تحمل دلالاتهـا الخاصـة مما يجعلهـا غريبة على الأسماع، مرفوضة من الرواة لمخالفتها لما عليه الجمهور.

ومع ذلك فإن ابن جني ينظر إليها باحترام، ويتقبلها بشجاعة ما دامت قريبة من القياس في نسيجها اللغوي.

يقول ما نصه في باب ما يرد عن العربي مخالفاً لما عليه الجمهور من كتابه «الخصائص»:

«إذا اتفق شيء من ذلك نظر في حال ذلك العربي وفيما جاء به، فإن كان الإنسان فصيحاً في جميع ما عدا ذلك القـدر الذي انفـرد به، وكـان مما أورده يقبله القياس، إلاّ أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الإنسان، فأن الأولى في ذلك أن يحسن الظن به ولا يحمل على فساده.

فإن قيـــل : فمن أين ذلك له، وليس مسوغاً أن يَرْتَجِل لغة لنفســـه؟.

قيـــل قد يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدها، وعفا رسمها، وتأبدت معالمها»..

---

(١) الخصائص ١ / ٣٨٦.

ثم قال ابن جني بعد ذلك:

«وبعد، فلسنا نشك في بُعْد لغة حِمير ونحوها عن لغة ابني نزار، فقد كان يمكن أن يقع شيءٌ من تلك اللغة في لغتهم، فيساء الظن فيه بمن سَمِع منه، وإنما هو منقول من تلك اللغة».

ودخلت يوماً على أبي عليٍّ ـ رحمه الله ـ خالياً في آخر النهار، فحين رآني قال لي: أين أنت؟ أنا أطلبك. قلت: وما ذلك؟ قال: ما تقول فيما جاء عنهم من (حَوْرِيت)[1] فخضنا معاً فيه، فلم نحلَ بطائل منه، فقال: هو من لغة اليمن، ومخالف للغة ابني نزار، فلا ينكر أن يجيء مخالفاً لأمثلتهم»[2].

ومن الكلمات التي اختلفت فيها الدلالات من اللهجة اليمنية:

(١) «باقورة» ويعنون بها البقرة، ففي اللسان: «بقر»: وأهل اليمن يُسَمُّون البقر: باقورة.

وكتب النبي ﷺ في كتاب الصدقة لأهل اليمن:

«في ثلاثين باقورة بقرة».

(٢) العير ــ السّيد:

عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سمع رجلاً من «خولان» يقول باليمن قد مات لهم سيّد: «أي عير انقعر منا؟» أي سيّد[3]؟

(٣) قال أبو عمرو: كنت باليمن، فأتيت دار رجل أسأل عنه: فقال لي رجل من الدار: اسْمك في الرّيم أي أصعد الدرجة[4]. و«اسمك» فعل أمر بمعنى: اصعد، والريم: الدرجة في لغة اليمن.

---

(١) سم موضع.

(٢) انظر النصوص في الخصائص ١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ـ ٣٨٧ بتصرف.

(٣) الجمهرة ٢/ ٢٩٣.

(٤) الجمهرة ٢/ ٤١٩، ٣/ ٤٦.

(٤) رجل لا يأتبل: أي لا يثبت على الإبل.

قال الأصمعي ، قال أبو عمرو بن العلاء: رأيت عمانياً راكباً وأبوه يمشي، فقلت له: أتركب وأبوك يمشي؟ فقال: إنه لا يأتبل، أي لا يثبت على الإبل[١].

** .. ** .. **

من دلالات اللهجة اليمنية في ضوء القرآن الكريم:

١ ـ﴿وسيّداً وَحَصُوراً﴾[٢].

قال أبو عبيد: السّيد: الحليم بلغة حمير[٣].

٢ ـ﴿تفشـــلا﴾[٤].

قال أبو عُبيد: «تفشلا»: تَجْبُنا بلغة حمير[٥].

٣ ـ﴿السّقايـة﴾[٦].

قال أبو عبيد : السقاية: الإناء بلغة حمير[٧].

٤ ـ﴿مدينين﴾[٨].

قال أبو عبيد «مدينين»: محاسبين بلغة حمير[٩].

---

(١) الجمهرة ٣ /٢١١.
(٢) آل عمران / ٣٩.
(٣) لغات القبائل / ٦٥.
(٤) آل عمران / ١٢٢.
(٥) لغات القبائل / ٧١.
(٦) يـوسـف / ٧٠.
(٧) لغات القبائل / ١٤٨.
(٨) الواقعة / ٨٦.
(٩) لغات القبائل / ٢٧٠.

٥ ـ ﴿زعم الذين كفروا أن لن يُبعثوا﴾[١] .

قال أبو عبيد : كل زعم في كتاب الله باطل بلغة حِمْير[٢] .

٦ ـ ﴿أخذاً وبيلاً﴾[٣] .

قال أبو عبيد : يعني شديداً بلغة حمير[٤] .

هذا وقد تتبعت الكلمات القرآنية التي وردت بلغة حمير أو بلغة اليمن ولها دلالات معينة في القرآن الكريم فوجدتها بلغت ٣٢ كلمة[٥] .

وهذه الكلمات إن دَلَّت على شيء فإنما تدلّ على أن لغة اليمن أو لهجته لم تكن غريبة على الأسماع ، ولم تكن بعيدة عن لغة ابني نزار كما ادّعى ابن جني ، كيف تكون بعيدة عن لغة ابني نزار ، وقد وردت هذه الكلمات القرآنية المتعدّدة تحمل معاني خاصة بلهجة اليمن ، ألا يدلّ ذلك على تقارب لهجة اليمن مع لهجة ابني نزار ؟ وأن البعد بينهما قولٌ يجانبه الصّواب ، وإذا كان القرآن الكريم وهو أعظم نصّ أدبيّ قد وردت فيه هذه الكلمات فليس من المستغرب أن تتسرب إلى النصوص الشعريّة أو النثرية مجموعة من الكلمات اليمانية ذات الدلائل الخاصة .

ولو تتبعنا قصائد الشعراء في الجاهلية لرأينا العدد الوفير من الكلمات الحميرية أو اليمانية التي وفدت على لغة ابني نزار وتقبلتها بعد الاحتكاك بها ، فأصبحت جزءاً من كيانها ونسيجاً من تراكيبها .

---

(١) التغابن / ٧ .

(٢) لغات القبائل / ٢٨٤ .

(٣) المزمل / ١٦ .

(٤) لغات القبائل / ٣٠٠ .

(٥) انظر فهرس لغات القبائل / ٤٠٦ .

وقد لمح هذه الحقيقة الشيخ أحمد رضا العاملي حيث ذكر أن القبائل كانت تجتمع من جنوبيين وشماليين في أسواقها وتتفاهم دون أدنى كلفة ويساعدهم على ذلك أن لغاتهم أو لهجاتهم على ما كانت عليه كانت متحدة في صميمها، وأن هذا الاختلاف لم يعدُ كونه اختلاف لهجات للغة واحدة.

ويقدم الشيخ العاملي دليلاً على ذلك بأن وفد قريش وعلى رأسه عبد المطلب بن هاشم عند سيف بن ذي يزن ملك اليمن وكان عبد المطلب في هذا الوفد يخطب ببيانه القرشي العدناني، وسيد اليمن يصغي إليه، ويسمع شاعر الوفد أمية بن أبي الصّلت ينشد قصيدته بلهجته الفصحى، والملك يُصْغي طروباً لا يجد غرابة في ذلك[1].

وللإنصاف لا نستطيع أن نظلم ابن جنّي فقد ذكر أن اللغة اليمنية إذا كانت جارية على القياس فإنها تقبل، ولكن الذي نأخذه عليه هو هذه العبارة التي يشير بها إلى أن لغة حمير باعد الزمان بينها وبين لغة ابني نزار مما فتح الباب على مصراعيه أمام الدكتور/ طه حسين في عصرنا الحاضر حيث أنكر الشعر الجاهلي بناءً على هذه القضية، قضية بعد لغة اليمن عن لغة الشمال.

وملخص رأيه في هذا الموضوع أن الشعراء الجاهليين معظمهم ينتسب إلى قحطان، وكثرتهم كانوا ينزلون اليمن، والقِلّة منهم قد هاجرت إلى الشمال مع أن لسان حمير في اليمن ليس هو لسان عدنان في الشمال، وقد قال أبو عمرو بن العلاء: ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا[2].

وقد بينت بالأمثلة التي ذكرتها، ووردت في كتاب أبي عبيد بأن لغة حمير لم تكن بعيدة عن لغة عدنان، وأن القرآن الكريم وردت فيه مجموعة من الكلمات

---

(١) انظر مولد اللغة للشيخ أحمد رضا العاملي / ٥٦.

(٢) في الأدب الجاهلي / ٦٥ وما بعدها.

اليمنية ذات الدّلالات الخاصة. وكلمة أبي عمرو بن العلاء التي اعتمد عليها الدكتور طه حسين فنّدها أستاذنا الدكتور الحوفي حيث نص على «أن اللغتين عربيتان ولكن التّطوّر والزّمان والمكان والأحداث والألسنة. . . . . الخ. قد شقّقت من اللّغة الواحدة لهجتين بدليل قوله: ولا عربيّتهم بعربيّتنا، والعرب يطلقون على اللهجة اللسان[1].

ويذكر الشيخ الخضر حسين أن طه حسين حرّف كلمة ابن عمرو بن العلاء لهوى في نفسه[2].

** .. ** .. **

ب ـ من دلالات لهجة هذيل في ضوء القرآن الكريم:

﴿وكأساً دهاقاً﴾[3].

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «يعني ملأى بلغة هذيل»[4].

ـ ﴿ما يهجعون﴾[5].

قال أبو عبيد في كتابه: لغات القبائل:

«ما يهجعون: ما ينامون بلغة هذيل»[6].

ـ ﴿وأقصد في مشيك﴾[7].

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ١/٤١.

(٢) نقض كتاب في الشعر الجاهلي/ ٧٤.

(٣) النبأ / ٣٤.

(٤) انظر لغات القبائل / ٣٠٩.

(٥) الذاريات / ١٧.

(٦) لغات القبائل /٢٥٥.

(٧) لقمان / ١٩.

قال أبو عبيد : أسرع بلغة هذيل [١] .

ـ ﴿آناء الليل﴾[٢] .

قال أبو عبيد : ساعات بلغة هذيل[٣] .

ـ ﴿ مُراغمـــاً﴾ [٤] .

قال أبو عبيد مُنْفَسَحاً بلغة هذيل [٥] .

ـ ﴿حـصـيـــــــد﴾[٦] .

قال أبو عبيد : يعني منحدر من الأرض بلغة العمالقة، وما سُوّى من الأرض بلغة هذيل[٧] .

ـ ﴿رجْمـاً بالغيــب﴾[٨] .

قال أبو عبيد: يعني ظنًّا بلغة هذيل [٩] .

ـ ﴿ملتحـــداً﴾[١٠]

قال أبو عبيد : ملجأً بلغة هذيل[١١] .

---

(١) لغات القبائل / ٢٢٠ .

(٢) آل عمران / ١١٣ وغيرهـــا .

(٣) لغات القبائـــل/ ٦٩ .

(٤) النســـاء / ١٠٠ .

(٥) لغات القبائـــل / ٨٥ .

(٦) هـــود : ١٠٠ .

(٧) لغات القبائـــل / ١٤١ .

(٨) الكهـــف : ٢٢ .

(٩) لغات القبائـــل / ١٧٧ .

(١٠) الكهـــف : ٢٧ .

(١١) لغات القبائـــل / ١٧٨ .

ـ ﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه﴾(١).

قال أبو عبيد: يعني يخاف بلغة هذيل(٢).

ونكتفي بهذا القدْر من الكلمات الهذلية التي وردت في القرآن الكريم في ضوء كتاب: «لغات القبائل» والتي بلغ عددها تسعاً وأربعين كلمة(٣).

كلمات ذات دلالات معينة من لهجة هذيل في ضوء كلام العرب:

ـ من ذلك:

١ ـ الوذيلة: قال في اللسان: «وذل» قال أبو عمرو: قال الهذلي: الوذيلة: المرآة في لغتنا.. وقال أبو كبير الهذلي:

وبياضُ وجْهٍ لم تَحُلْ أسرارهُ ... مثلُ الوذيلة أو كَسَيْف الأنْضَر

والأنضر: الذهب(٤).

٢ ـ الحال: امرأة الرجل.

قال الأعلم:

إذاً لَذَكَرْتَ حالَك غَيْرَ عَصْرٍ ... وأفسد صُنْعَها فيك الوَجَيفُ(٥)

وقال أبو سعيد: الحسن بن الحسين السّكريّ في شرحه: حالك: امرأتك، وهذيل تسمى المرأة: «الحال»، والعصر: الحين.

---

(١) الكهف/ ١١٠.

(٢) لغات القبائل / ١٨٢.

(٣) انظر فهرس لغات القبائل/ ٤٠٩ ـ ٤١٠.

(٤) اللسان «وذل» وانظر ديوان الهذليين القسم الثاني ص ١٠٢. والأسرار في شرح الديوان: هي الطرائق، وتحل: تتغير.

(٥) شرح أشعار الهذليين ١ / ٣٢٩، واللسان: حول.

يقول : ذكرت في غير حين ذكر، وأفسد صنعها: أفْسَدَ بِرّها، والوجيف: السّير أي أنك ليس ممن يقوى على سيرها، أي أنت ثَقِيلٌ إن أصابتك شدّة أو وجيف الإبل[1].

قال الجُمَحِيّ : الحال: المرأة، هكذا سمعتها من أعراب هذيل[2].

٣ ــ الطِّــرْف :

الطِّرف : الكرم في لغة هذيل.

قال عدي بن جؤيــة :

هــو الطِّرْفُ لم تُحْشَشْ مَـطِيٌّ بـمـثـلِهِ ولا أَنَسٌ مستــوبِـدُ الــدّار خــائِفُ

قال أبو سُعيد : ويروي: «لم تُوحِشْ مطَيٌ بمثلِهِ».

والطّرف في لغة هذيل هو: الكريم.

وقولهُ : لم تحشش : لم تُسَقْ بمثله، ومثله : حَشّ النّار أي أوقدها، والوَبَدُ: البُؤس[3].

وقال أبو ذُؤيب:

إذا نــزلــت ســراةُ بــنــي عــديٍّ فَسَلْهُـم كيف مـاصَعَـهُم حـبيبُ
يقــولــون قــد رأينـا خَيْــرَ طِـرْف بِــرُقْــيــةَ لا يُـهَــدّ ولا يَــخِــيــبُ

والمُماصَعة: المماشقة بالسيف، ويهدّ: يُكْسَر، ورُقْية: بلد[4].

٤ ــ ماء بَسْرٌ خَصِــرٌ:

---

(١) وفي شرح السكري اختلافات بين الشارحين في بعض كلمات هذا البيت.

(٢) شـرح أشعـار الهـذليين ١ / ٣٢٩، بتصـرف.

(٣) ديـوان الهـذليين ٢ / ٢٢٣ .

(٤) المصدر نفسه ١ / ٩٣.

قال الهُذلي : هذا ماء بَسْر خَصِرٌ، أي بارد[1].

٥ ـ وقال الهذلي : بَرْهم : أدام النظر، وبَرْسم مثلها[2].

٦ ـ جحجح : سيد جحجاح : مسارع إلى الكرم

قال الزّمخشريّ في أساس البلاغة من قول بعض هذيل :

«غُلامي بِشِعْب كذا يخبط ويجحجح أي يسرع فيه»[3].

٧ ـ الهَكْر = أشدُّ العجـــــب.

قال أبو كبيـــر :

فَقَــد الـشّبــابَ أبــوكِ إلاّ ذِكــرَهُ   فـاعْجَبْ لـذلـك فِعْـل دَهْـرٍ وَاهْكَـرِ

قال أبو سعيد : الهَكْر : أشد العجب[4].

٨ ـ الإِمَّعـــــة :

ابن مسعود الصحابي الجليل من هذيل.

يقول ابن الأثيـــر : هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب إلى أن قال: ابن تميم بن سعـد بن هذيـل، وأمه أم عبـد بنت عبد ود بن سواء من هـذيـل أيضاً[5].

قال ابن مسعود : «كنا في الجاهلية نعدّ الإمّعة الذي يتبع الناس إلى الطعام من غير أن يُدّعى، وإن الأمعـة فيكم اليوم المحقبُ النـاس دينه. . قـال ابن بري : أراد ابن مسعود بالإمعة الذي يتبع كل أحد على دينه»[6] .

---

(١) كتاب الجيــم / ٩٤.

(٢) المصدر نفسه / ٩٤.

(٣) أساس البلاغة / ٨٣.

(٤) ديوان الهذليين ٢ / ١٠١.

(٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣ / ٢٥٦، وانظر أثر القراءات في الدراسات النحوية د. عبد العال سالم/ ٢٦.

(٦) اللسان (أمع).

معنى ذلك أن «إمعة» كلمة هذيليّة لها في الجاهلية دلالة معيّنة، فلما جاء الإسلام تطوّرت هذه الكلمة فأصبح لها معنًى جديدٌ.

٩ ــ الْفَرْضُ : الثوب.

قال الشاعر الهُذليّ صخر الغيّ:

أرِقْتُ لــه مِثْــلَ لَمْــعِ البـشيــر يقلّب بــالـكَفّ فَرْضاً خَـفِيـفــا

في شرح السكري:

أرقت لهذا البرق: سهرت له، وهو يلمع مثل لمع البشير.

وقال الأصمعي : الفرْض : الثوب عن بعض أعراب هذيل[1].

١٠ ــ حمز حديدته : إذا أحَدَّها:

جاء في اللسان «حمز»: في لغة هذيل: الحمزة: التحديد، فيقال: حمز حديدته: إذا أَحَدّها، وقد جاء ذلك في أشعارهم «ومن هذا قول أبي خِراش:

مُنِيبــاً وقــد أمسى تَقَــدَّمَ وِرْدَهــا أقَيْــدِرُ محـمُـوزُ القِـطاع نَــذِيــلُ

منيباً : أي راجعاً : محموز القطاع، يقال: رجل محموز الفؤاد أي شديد الفؤاد.

والأقيدر : القصير العنق: والنذيل أي رثّ الحال[2].

ونكتفي بهذا القدر من نماذج الدلالات اللغوية للهجة الهذليــة.

** .. ** .. **

---

(١) شرح أشعار الهذليين ١ / ٢٩٥.

(٢) انظر ديوان الهذليين ٢ / ١٢٠. بتصرف.

ج ـ من دلالات لهجة تميم في ضوء القرآن الكريم :

من ذلك :

١ ـ ﴿بَغْياً﴾[١] : حسداً :

قال أبو عبيد : «بغياً» : حسداً بلغة تميم[٢] .

٢ ـ ﴿وادّكر بعد أُمّـةٍ﴾[٣] .

قال أبو عبيد : بعد نسيان بلغة تميم ، وقيس عيلان[٤] .

٣ ـ ﴿وسرابيل تقيكُمُ الحرّ﴾[٥] .

قال أبو عبيد : القُمُص بلغة تميم[٦] .

٤ ـ ﴿الصّدفيــــن﴾[٧] .

قال أبو عبيد: الجبلين بلغة تميم[٨] .

٥ ـ ﴿يخرصون﴾[٩] : يعني يكذبون بلغة تميم[١٠] .

---

(١) البقرة / ٢١٣ .

(٢) لغات القبائل / ٥٠ .

(٣) يوسف / ٤٥ .

(٤) لغات القبائل / ١٤٧ .

(٥) النحل / ٨١ .

(٦) لغات القبائل / ١٦٢ .

(٧) الكهف: /٩٦ .

(٨) لغات القبائل/ ١٨٢ .

(٩) الزخرف/٢٠ .

(١٠) اللغات في القرآن لابن حسنون/ ٤٢ .

ومن الملاحظ أن الكلمات ذات الدلالة الخاصة من لهجة تميم في القرآن الكريم قليلة جداً، لأني استوعبت معظم كتب اللغات كلغات القبائل لأبي عبيد القاسم بن سلام، واللغات في القرآن برواية ابن حسنون المقرىء فلم أجد إلا هذه الطائفة المعدودة من الأمثلة السابقة.

ـ كلمات ذات دلالات معينة من لهجة تميم في ضوء كلام العرب:

من ذلك:

١ ـ الكَيْسان : الغَدْر

قال ابن عبد ربّه، قال أبو عمرو بن العلاء: كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب، وكانوا يسمون الغدر في الجاهلية: كيسان، فقال فيها الشاعر:

إذا كنت في سَعْد وخالُك منهمُ غريباً فلا يغرُرْك خالُك من سعد
إذا ما دعوا كَيْسان كانت كهولهم إلى الغدر أدْنى من شبابهم المُرْدِ(١)

٢ ـ في قول زهير:

فتعرُكْكُم عَرْك الرحى بثفالها وتلقح كِشافا ثم تحمل فتتئم(٢)

قال البغدادي ناقلاً عن (صعوداء): الكِشاف في لغة كنانة، وهذيل وخزاعة: الإبل التي لم تحمل عامين.

وتميم وقيس وأسد وربيعة يقولون: الكشاف: التي إذا نتجت ضربها الفحل

---

(١) العقد الفريد ١ / ٨٠، وانظر الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي للدكتور/ عبد العال سالم مكرم/ ٢٠٠، واللسان: كيس.

(٢) في الخزانة ٣ / ١٢ قال البغدادي، والإتآم: أن تضع اثنين وليس في الإبل إتآم، وإنما الإتآم في الغنم خاصة، وإنما يريد بذلك تفظيع الحرب، وتحذيرهم إياها.

بعض أيام فلقحت، وبعضهم يقول: هي التي يحمل عليها في الدم[1].

٣ ــ قال في اللسان : «هلع» الهلع : الحزن تميمية، والهَلِع :الحزين، وشح هالع أي محزن، وفي التنزيل: ﴿إن الإنسان خُلِقَ هَلوعاً﴾[2].

٤ ــ غَسّى : مضى قُدُماً:

قال في اللسان : «غسس» : وغس الرجل في البلاد: إذا دخل فيها ومضى قدُماً، وهي لغة تميم.

قال رؤبة :

* كالحوت لما غَسّ في الأنهار *

٥ ــ الوَدْي : هو السُّوعاء.

قال أبو عبيدة لرؤبة : ورؤبة من شعراء تميم ـ ما الودي؟

فقال : يسمى عندنا السّوعاء، والسّوعاء هو الذي يخرج قبل النطفة، وفي الحديث الشريف: في السّوعاء الوضوء[3].

٦ ــ الهيصم : حجر أملس.

في اللسان : «هصم»: الهيصم: حجر أملس يتخذ منه الحِقاق وأكثر ما يتكلّم به بنو تميم[4].

** .. ** .. **

---

(١) انظر الخزانة ٣ / ١٢ هارون .

(٢) المعارج / ١٩.

(٣) انظر اللسان : «سوع».

(٤) اللسان : هصم».

د ـ من دلالات لهجة جرهم في القرآن الكريم :

١ ـ ﴿فباءوا بغضب﴾[١].

قال أبو عبيد : يعني استوجبوا بلغة جرهم[٢].

٢ ـ ﴿إن ترك خيـراً﴾[٣].

قال أبو عبيد : المال بلغة جرهم[٤].

٣ ـ ﴿كدأب آل فرعون﴾[٥].

قال أبو عبيد : يعني كأشباه، بلغة جرهم[٦].

٤ ـ ﴿تعولـــوا﴾[٧].

قال أبو عبيد : تميلوا بلغة جرهم[٨].

٥ ـ ﴿كأن لم يَغْنَوا فيهـــا﴾[٩].

قال أبو عبيـــد : يتمتعوا بلغة جرهم[١٠].

٦ ـ ﴿فشرِّد بهـــم﴾[١١].

قال أبو عبيـــد : فنكّل بهم بلغة جرهم[١٢].

---

(١) البقرة / ٩٠.

(٢) لغات القبائل /٥١ .

(٣) البقرة / ١٨٠ .

(٤) لغات القبائل /٥٦ .

(٥) الأنفال / ٥٢ .

(٦) لغات القبائل / ٦٤.

(٧) النساء / ٣ .

(٨) لغات القبائل/ ٧٦ .

(٩) الأعراف / ٩٢.

(١٠) لغات القبائل / ١٠٤.

(١١) الأنفال / ٥٧ .

(١٢) لغات القبائل / ١١٧ .

٧ ــ ﴿أراذلنـــا﴾[١].

قال أبو عبيـد: سفلتنا بلغة جُرهـم[٢].

٨ ــ ﴿فَتَقْعُدَ مَلوماً محسوراً﴾[٣].

قال أبو عبيد : المحسور : المنقطع بلغة جرهـم[٤].

٩ ــ ﴿من كل حَدَبٍ ينسلون﴾[٥].

قال أبو عبيد : ينسلون : يخرجون بلغة جرهـم[٦].

** .. ** .. ** .. **

هـ ــ من دلالات لهجة خثعم في القرآن الكريم :

١ ــ ﴿تُسيمـون﴾[٧].

قال أبو عبيـد : تسيمون : ترعون بلغة خثعم[٨].

٢ ــ ﴿شَطَطاً﴾[٩].

قال أبو عبيـــد : كذباً بلغة خثعم[١٠].

٣ ــ ﴿مِنْسَأَتـه﴾[١١].

قال أبو عبيد : عصاته بلغة حضرموت، وأنمار، وخثعم[١٢].

(١) هود / ٢٧ .

(٢) لغات القبائل / ١٣٢ .

(٣) الإسراء/ ٢٩ .

(٤) لغات القبائل / ١٦٨ .

(٥) الأنبياء / ٩٦ .

(٦) لغات القبائل / ١٩٨.

(٧) النحل / ١٠ .

(٨) لغات القبائل / ١٥٨ .

(٩) الكهــف / ١٤ .

(١٠) لغات القبائل / ١٧٥ .

(١١) سبأ / ١٤ .

(١٢) لغات القبائل / ٢٢٧ .

٤ ـ ﴿سُجِّرت﴾ [١] .
قال أبو عبيـد : جمعت بلغة خثعم[٢] .
٥ ـ ﴿صغت قلوبكمـا﴾[٣] .
قال أبو عبيد : مالت بلغة خثعم [٤].
٦ ـ ﴿هلوعـاً﴾[٥].
قال أبو عبيد: ضَجُوراً بلغة خثعم[٦].

ونكتفي بهذا القدر من الدلالات الخاصة في ضوء القرآن الكريم ولهجات العرب لنعرض بعض الظواهر الأخرى في مجال اختلاف حركات الصّيغ بين لهجات العــرب.

**.. ** .. **

(٣) ظاهرة اختلاف حركات الصيغ :

ـ من القرآن الكريم :

١ ـ ﴿تدّخـرون﴾[٧].
قال أبو عبيد مُثَقّل بلغة تميم، وتَدْخرون مخفف بلغة كنانة[٨].

---

(١) التكوير / ٦.
(٢) لغات القبائل / ٢٥٩.
(٣) التحريم / ٤.
(٤) لغات القبائل / ٢٨٥.
(٥) المعارج / ١٩.
(٦) لغات القبائل / ٢٩٤.
(٧) آل عمران / ٤٩.
(٨) لغات القبائل / ٦٦.

٢ ـ ﴿قَرْحٌ﴾[١].

قال أبو عبيد : بالفتح لغة أهل الحجاز، وبالضم لغة تميم[٢].

٣ ـ ﴿ثمـــره﴾[٣].

قال أبو عبيد : بالفتح لغة كنانة، وبالضم لغة تميم[٤].

٤ ـ ﴿يبشرهـــم﴾[٥].

قال أبو عبيد : بالتخفيف لغة كنانة ، وبالتشديد لغة تميم[٦].

٥ ـ ﴿متنـــا﴾[٧].

قال أبو عبيد : بالكسر لغة الحجاز، وبالضم لغة تميم [٨] .

٦ ـ ﴿سخــــريّاً﴾ [٩] .

قال أبو عبيد : بالكسر لغة قريش، وبالضم لغـــة تميم [١٠] .

ـ من كلام العــــرب :

١ ـ إحدى عشـــرة:

قال سيبويه : وإن جاوز المؤنث العشر فزاد واحداً قلت: إحدى عَشِرة بلغة

(١) آل عمران / ١٤٠ .

(٢) لغات القبائل / ٧٣ .

(٣) الأنعام / ٩٩ .

(٤) لغات القبائل / ٩٧ .

(٥) التوبــة / ٢١ .

(٦) لغات القبائل / ١٢٢ .

(٧) الصافات / ١٦ .

(٨) لغات القبائل / ٢٣٥ .

(٩) صَ / ٦٣ .

(١٠) لغات القبائل / ٢٤٣ .

بني تميم كأنما قلت : إحدى نَبِقة.

وبلغة أهل الحجاز : إحْدى عَشْرة كأنما قلت: إحدى تَمْرَة[1].

٢ ــ تكسير فِعال على فُعُل:

قال سيبويه : فإذا أردت أكثر العدد بنيته على : «فُعُل» وذلك حِمار وحُمُر، وخِمار وخُمُر، وإزار وأُزُر، وفِراس وفُرُس، وإن شئت خففت جميع هذا في لغة تميم[2].

٣ ــ علــــم :

قــال سيبويــــه : إذا خففت الحـركـة من عَلِم، وذلـك من لغـة بني تميم فتقــول: عَلْم[3].

** .. ** .. **

---

(١) الكتاب : ٣ / ٥٥٧.

(٢) الكتاب٣ / ٦٠١، ويريد بالتخفيف الاسكان: مثل حُمْر وخُمْر الخ.

(٣) الكتاب ٣ / ٢٢٧.

(٣) ــ اختلاف اللهجات في ظاهرة الوقف:

١ ــ الوقف على ما آخره همـــــزة:

قال السّيوطي في الهمع في باب الوقف: يجوز نقل حركة الهمزة إذا كانت فتحة إلى الساكن الصحيح قبلها فيقال: رأيت الرِّدَأْ، والخِبَءْ، ثم قـال: وإذا نُقلت حركة الهمزة حذفها الحجازيون واقفين على حامل حركتها. . . فيقال: هذا الرِّدْ، ورأيت الرّدْ، ومررت بالرّدْ، فيصير الساكن الذي يحرك آخر الكلمة، فيجري عليه ما جرى على الصحيح إذا وقف عليـــه.

وأما غير الحجازيين فإنهم يثبتون الهمزة بعد النقل ساكنة فيقولون:

هــذا الــرُّدُءْ، ورأيــت الــرَّدَأْ ومررت بالرِّدِءْ[1]

٢ ــ الوقف على الرّويّ:

لغة الحجازيين الوقف على الرويّ بزيادة مـدّة مطلقـاً قصد التـرنّم أم لا؟ لقوله:

* وأنك مهما تأمري القلب يفعلـي[2] *

والتميميون لا يفعلون ذلك إلا إذا ترنّموا، فإن لم يترنموا حذفوا المدة، ثم

---

(١) همع الهوامع ٦ / ٢١٤ بتحقيق الدكتور /عبد العال سالم مكرم.

(٢) صدره: * أغرّك منـي أن حبــك قاتلــي *
لأمرىء القيس، ديوانه / ١٧.

منهم من يقف بالسكون كما يقف في الكلام كأنه ليس بشعر فيقـول:

* أقلّي اللوم عاذل والعتــابْ [١] *

٣ ـ من باب الساكن الذي تحرّكه في الوقف إذا كان بعده هاء المذكر الذي هو علامة الإضمار.

يقول سيبويه: وذلك قولك : ضَرَبَتْهْ، وَأَضْرِبُهْ.....

سمعنا ذلك من العرب، ألقوا عليها حركـة الهاء حيث حـرّكوا لتبيـانها ثم قـال: وسمعنا بعض بني تميم من بني عـدي يقولـون: قد ضَرَبَتِـهْ، وَأَخَذَتِـهْ، كسروا حيث أرادوا أن يحرِّكوها لبيان الذي بعـدها، لا لإعـراب يُحْدثه شيء قبلها»[٢].

** .. ** .. **

---

(١) لجرير وتمامـــة :

وقولي إن أصبت لقد أصابـــا

من شواهد ابن يعيش ٤/ ١٥ والخصائص ١ / ١٧١، والمصنف ١/ ٢٢٤.

وانظر همع الهوامع ٦ / ٢٢٠.

(٢) الكتاب ٤ /١٧٩ـ ١٨٠.

(٤) ـ ظواهر لغوية متنوعة:

ـ الشين مكان الكاف للمؤنث:

قال سيبويه: فأمّا ناس كثيرٌ من تميم وناس من أسد، فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين، وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف لأنها ساكنة في الوقف، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث، وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل، لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف، كما فصلوا بين المذكر والمؤنث بالنون حين قالوا: ذهبوا وذهبن، وأنتم وأنتن، وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها، لأنها مهموسة، كما أن الكاف مهموسة ولم يجعلوا مكانها مهموساً من الحَلْق، لأنها ليست من حروف الحلق، وذلك قولك: إنش ذاهبة، وما لش ذاهبة، تريد إنك وما لك»[١].

ـ كَسْر المصدر أو فتحه:

قال سيبويه: أتيتك عند مطلِع الشّمس أي عند طلوع الشمس وهذه لغة بني تميم، وأما أهل الحجاز فيفتحون[٢].

---

(١) الكتاب ٤ / ١٩٩.

(٢) المصدر نفسه / ٩٠.

(٥) ـ الإدغـــام :

ـ قـال سيبويـه : أمّـا ما كـانت عينه ولامسـه من موضـع واحد، فـإذا تحـرّكت اللام منـه وهو فِعْل ألزمـوه الإدغام، وأسكنـوا العين فهذا مُتْلئب في لغة تميم، وأهل الحجـاز.

فإن أسكنت اللام فإن أهل الحجاز يُجْرونه على الأصل،لأنه لا يسكن حرفان.

وأمـا بنو تميم فيسكنـون الأول ويحـرّكـون الآخـر ليـرفعـوا ألسنتهم رفعةً واحدة»[١].

ـ ذكر السيوطي في (المُزْهر) جملة من الكلمـات التي اختلفت فيها لهجـة الحجاز ولهجة تميم، وقد شمل ما ذكره (المزهر) معظم الظواهر اللغويـة التي عرضنا لها سابقاً.

وقبـل أن ننهي البحث عن الـظواهــر اللغــويـة التـي اختـلفت فـيهـا اللّهجات من حيث الدلالة، والصيغ، والوقف، والإدغام أحب أن أسجل نص السيوطي في الكلمات التي اختلفت فيها لهجة الحجـاز عن لهجة تميم وذلـك لأن هـاتين اللهجتين يمثلان ٩٠٪ من المعجم العـربي، ومن قبيلتيهما جمـع الـرّواةُ اللغة، ووضعـوها في المعـاجم، وعلى أساس هـاتين اللهجتين قـامت المدارس النحوية واللغوية فيما بعـد، وكثر النحـو واللغة، وتعـددت المذاهب فيهما، وفاضت مسـائلهما بتفريعات عدّة، وقضايا معقدة:

قال السّيوطي محدّداً الكلمات التي اختلفت فيها اللهجتان:

قال يونس في نوادره:

ـ أهل الحجاز يقـولون: خمس عشْـرة خفيفة لا يحـركون الشين. وتميم تثقل وتسكر الشين، ومنهم من يفتحها.

---

(١) الكتاب ٤ / ٤١٧ ـ ٤١٨.

ـ أهل الحجاز : يبطِش.

ـ وتميم : يبطُش.

ـ أهل الحجاز : أَيْهات.

ـ وتميم : هَيْهات.

ـ أهل الحجاز : مِرْية.

ـ وتميم : مُرية.

ـ أهل الحجاز : الحِج.

ـ وتميم : الحَج.

ـ أهل الحجاز : تَخذت.

ـ وتميم : اتَّخذت.

ـ أهل الحجاز : رِضْوان.

ـ وتميم : رُضوان.

ـ أهل الحجاز : سل ربك.

ـ وتميم : اسأل.

ـ أهل الحجاز : قلنسية.

ـ وتميم : قُلَنسوة.

ـ أهل الحجاز : هو الذي ينقد الدراهم.

ـ وتميم : ينتقد.

ـ أهل الحجاز : الكراهة.

ـ وتميم : الكراهية.

ـ أهل الحجاز : لاته[1] عن وجهه.

---

(١) لاته : في القاموس : لاته يليته : حبسه عن وجهه وصرفه.

ـ وتميم : ألاته. يُلِيتُه.

ـ أهل الحجاز : بَرَأت من المرض.

ـ وتميم : بَرِئْت.

ـ أهل الحجاز : أنا منك بَراء.

ـ وسائر العرب : أنا منك بريء.

ـ أهل الحجاز : يخففون الهَدْي كالرّمْي.

ـ وتميم يشددونه، يقولون: الهديّ كالعشيّ والشقيّ.

ـ أهل الحجاز : قلوث البُرّ فأنا أقلوه قلواً.

ـ وتميم : قليت البر فأنا أقليه قَلْياً.

ـ أهل الحجاز : تركته بتلك العَدْوة ، وأوطأته عَشْوة، ولي بك إسوة وقِدوة.

ـ وتميم : تضم أوائل الأربعة.

ـ أهل الحجاز : لعمري.

ـ وتميم : رعملي.

ـ أهل الحجاز : الشفع والوَتر بفتح الواو.

ـ وتميم : بكسرها.

ـ أهل الحجاز : أوصدت الباب: إذا أطبقت شيئاً عليه.

ـ وتميم : آصدت.

ـ أهل الحجاز : وكّدت توكيداً.

ـ وتميم : أكدت تأكيداً.

ـ أهل الحجاز : هي التمر وهي البُرّ، وهي الشعير، وهي الذهب وهي البسر.

ـ وتميم : تذكّر هذا كله.

ـ أهل الحجـــاز : الوَلاية في الدّين ، والتوَلّي : مفتوح وفي السّلطان : مكســـور.

ـ وتميم : تكســـر الجميع.

ـ أهل الحجـــاز : ولدته لتَمام (مفتوح).

ـ وتميم : تكســـره[1].

هذه هي أهم الظواهر اللغوية بين اللهجات العربية بعامة ولهجتي الحجاز وتميم بخاصـــة.

وقد تبيّن لنا من خلال هذه الظواهر أن الخلافات اللهجية قليلة، ولا يمكن بأيّة حال من الأحوال، أن تكون هذه الخلافات مستفحلة بحيث تؤدي إلى أن يكون لكل لهجة استقلالها الخاص، وتراكيبها المعيّنة، ودلالاتها المميزة.

بقي بعد ذلك العرض لظواهـــر الخلافات اللغوية أن نتجه إلى الحديث عن الظواهر النحوية، والتراكيب الأسلوبية ومدى الخلاف بين اللّهجات العربية في حقل التراكيب النحوية أو بعبارة أخرى التّراكيـــب الأسلوبيـــة.

** .. ** .. **

---

(١) المزهر ٢ / ٢٧٥ ـ ٢٧٧

الفصـــل الرابـــع
من الظّواهر النّحوية في اللهجات العربية:

إذا أمعنّا النظر في الخلافات اللّهجية من حيث التراكيب النحوية والتعبيرات الأسلوبية نجد أن هذه الخلافات قليلة بالنسبة للخلافات اللغوية، لأن الخلافات اللغوية مجالها فسيح ومدى الاختلافات فيها أوضح بكثير من الاختلافات الخاصة بالظواهر النحوية.

فالظواهر الصوتية من أصوات اللين الطويلة، والقصيرة والإمالة، والتخفيف والتحقيق، والحذف والإبدال والإعلال والقلب المكانيء، والإدغام والترخيم والتذكير والتأنيث والجموع والمشتقات.

كل هذه الظواهر مجال الاختلاف فيها واسع بالنسبة للاختلافات التركيبية النحوية التي يقل فيها مجال الاختلاف وهي خلافات كما قلت سابقاً: لا تؤدي إلى الاستقلال اللغوي للهجة، لأن البنية هي الأصل، أما هذه الظواهر فهي ظواهر عرضية ترجع إلى كيفية أداء الألفاظ بأصوات معينة، قد يختلف هذا الأداء من قبيلة إلى أخرى وهو اختلاف لا يمس الجوهر، وإنما يدور حول الشكل، ومما يدل على ذلك أن العربي الذي مرن لسانه على نطق بعض الأصوات بكيفية خاصة لا يستطيع مهما أكثرت من تلقينه وبذلت في تعليمه ما بذلت أن يبدّل طبيعة هذا الأداء، أو يغير طريقة النطق.

وقد عبر عن هذا ابن جنّي تعبيراً دقيقاً حيث ذكر أن أبا حاتم قال: «قرأ على أعرابي بالحرم: ﴿طِيبى لهم وحسن مآب﴾[1]، فقلت: طوبى، فقال: طِيبى، فلما طال عليّ، قلت: طوطو، فقال: طي طي، أفلا ترى إلى استعصام هذا الأعرابي بلغته وتركه متابعة أبي حاتم»[2].

وما لي أذهب بعيداً وقد سجلت كتب الطبقات القصة المشهورة في قول العرب: «ليس الطيب إلا المسك» وأن الخلاف في رفع «المسك» أو نصبه كان ظاهرة لهجية بين لهجتين مشهورتين هما اللهجة التميمية واللهجة الحجازية، لقد استمسكت كل لهجة بطبيعة التراكيب التي مرنت عليها ألسنة أبنائها.

ولنترك السيوطي يحدثنا عن هذه القصة التي رواها عن الزجاجي في أماليـــه:

قال السيوطي: قال الزجاجي في أماليـــه: أخبرنا أبو عبد الله اليزيدي يرفعه إلى عمّه أبي محمد اليزيدي قال: كنا في مجلس أبي عمرو بن العلاء، فجاء عيسى بن عمر الثقفيّ، فقال: يا أبا عمرو ما شيء بلغني عنك أنك تجيزه؟

قـــال: وما هو؟ قال: بلغني أنك تجيز «ليس الطّيب إلا المسكُ»، بالرفع، فقال له أبو عمرو: هيهات، نِمْت وأدلج الناس؟ ليسُ في الأرض حجازيّ إلا وهو ينصب، وليس في الأرض تميميَ إلا وهو يرفع.

ثـــم قال لي أبو عمرو: تعال أنت يا يحيى،! وقال لخلف الأحمر: تعال أنت يا خلف، اذهبا إلى أبي مهدية[3]، فلقّناه الرفع، فإنه يأبى، وأمضيا إلى

---

(١) الرعد / ٢٩.

(٢) الخصائص ٣٨٣ - ٣٨٤.

(٣) أبو مهدية: أعرابي صاحب غريب. انظر أخباره بالتفصيل في كتاب: «الأعرابيات لخليل مردم/ ١٢٥».

المنتجع بين نبهان التميمي، فلقنّاه النصب فإنه يأبى.

قال أبو محمد: فمضينا إلى أبي مهدية، فوجدناه قائماً يصلي، فلما قضى صلاته أقبل علينا، فقال: ما خطبكما؟ فقلت: جئناك لنسألك عن شيء من كلام العرب، قال: هاتيا، فقلنا: كيف تقول: ليس الطّيب إلاّ المسك، (بالرفع) فقال: أتأمراني بالكذب على كبر سني؟ فأين الزّعفران، وأين الجادي؟ وأين بنّة[1] الإبل الصادرة؟

فقال له خلف الأحمر: ليس الشراب إلا العسل (بالرفع) فقال: ما تصنع سودان هجر، ما لهم غير هذا التمر.؟

فلما رأيت ذلك قلت له: كيف تقول: «ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله» (بالرفع)، ؟فقال: هذا كلام لا دخل فيه، ليس ملاكَ الأمر إلا طاعةُ الله، والعمل بها، ونصب، فلقناه الرفع فأبى، فكتبنا ما سمعنا منه.

ثم جئنا إلى المنتجع، فقلنا له: كيف تقول: «ليس الطيب إلا المسكَ» ونصبنا فقال: ليس الطيب إلا المسكُ، ورفع، وجهدنا به أن ينصب فلم ينصب فرجعنا إلى أبي عمرو، وعنده عيسى بن عمر، لم يبرح بعد، فأخبرناه بما سمعنا فأخرج عيسى خاتم من يده فدفعه إلى أبي عمرو، وقال: «بهذا سدت الناس يا أبا عمرو»[2].

وإنما سقت هذه القصة لأدلل على أن أبا عمرو استوت عنده لهجة تميم ولهجة الحجاز في الأخذ عنهما، فهو يجوز في «المسك» الرفع والنصب معاً، وحجّته أن اللهجتين عربيتان فأخذ لهجة دون الأخرى في مجال التّقعيد،

---

(١) الجادي: هو الزعفران، والبنّة: الريح الطيبة.

(٢) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ٥/٥٢، بتحقيق د/ عبد العال سالم مكرم، ومجالس العلماء للزجاجي /٢.

وتركيب الأساليب لا يتفق مع المنطق، ولا يسير مع الواقع، ولأن العربيّ ينطق على سجيته رفعاً أو نصباً، وما على الرواة إلا احترام المسموع، وتقبّله القبول الحسن حتى لا يكون هناك تحكُّم في اللهجات أو تغيير في طريقة تراكيبها، ولكن فات هؤلاء الرواة أن ينسبوا كل شيء سمعوه إلى المصدر أو إلى النّبع الذي استقوا منه، اللهم إلا في القليل القليل من هذه اللهجات، مع أن المعاجم العربية فاضت بها الصيغ من حيث الأصوات والدّلالات، ومن حيث التراكيب أحياناً.

والذي يدل على ما نقول ما ذكره ابن جني في خصائصه بقوله: «فإن قلت: زعمت أن العرب تجتمع على لغتها، فلا تختلف فيها، وقد نراها ظاهرة الخلاف، ألا ترى أن الخلاف في «ما» الحجازية والتميمية، وإلى الحكاية في الاستفهام عن الأعلام في الحجازية وترك ذلك في التميمية إلى غير ذلك قيل: هذا القدر من الخلاف لقلّته ونزارته غير محتفل به، ولا معيج عليه، وإنما هو في شيء من الفروع يسير. فأما الأصول، وما عليه العامة والجمهور، فلا خلاف فيه ولا مذهب للطاعن به»(١).

** .. ** .. **

(١) الخصائص ١ /٢٤٣ ـ ٢٤٤.

نماذج من اختلاف اللهجات
في التراكيب والتعبيرات

١ ــ «إن» النافية ولغة أهل العالية:

«إن» النافية عند أهل العالية ترفع المبتدأ وتنصب الخبر مثل «ليس»، لأنها أختها في النفي.

ونقل الرواة عن أهل العاليـة أنهم يقولـون: «إنْ ذلك نـافعَك ولا ضـارك» فاسم الإشارة اسمها،و«نافعك» خبرها.

ونقل الرواة عنهم أيضاً: «إن أحدٌ خيراً من أحد إلا بالعافية» قال السيوطي في الهمع: سمع الكسائي أعرابيّاً يقول:«إنّا قائماً» فأنكرها عليه، وظن أنها «إن» المشددة، وقعت على «قائم» قال: فاستثبته، فإذا هو يريد: «إن أنا قائماً» فترك الهمزة وأدغم على حدّ: ﴿لكنّا هو الله ربي﴾[1].

وعلى هذا التركيب الذي سمع من أهل العالية قرأ سعيـد بن جبير: ﴿إنْ الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم﴾[2].

---

(١) الكهف /٣٨.

(٢) الأعراف/ ١٩٤.

وأيد الشعر العربي هذا التركيب فقد جاء البيتان الآتيان وفق هذه اللغة:

أ ـ إن هو مستولياً على أحد إلا على أضعف المجانين

ب ـ إن المرء مَيْتاً بانقضاء حياته، ولكن بأن يُبْغَى عليه فَيُخْذَلا[1]

ـ موقف النحويين من هذا التركيب:

أهل القياس الذين لا يقيسون إلا على الأكثر منعوا هذا التركيب ولم يقيسوا عليه، ومن هؤلاء معظم البصريين، والمغاربة، وعزيَ هذا الرأي إلى سيبويه، وحجتهم أن «إن» من الحروف التي لا تختص وما لا يختص لا يعمل.

وأهل السماع الذين يحترمون ما ورد من العرب ولو كان قليلاً يجيزون الإعمال والقياس معاً، ومن هؤلاء الكوفيون الذين يقيسون على القليل النادر، والكسائي وابن السراج والفارسي وابن مالك، وصحّحه أبو حيّان، ووجهة نظرهم أنه جاءت على هذه اللغة قراءة سعيد بن جبير، والقراءات مقدسة متواترة أو شاذة في باب التقعيد اللغوي، والتّركيب النّحويّ إلى جانب ذلك أيدت بالشعر العربي، حقاً إن البيتين مجهولا النسبة ولكن مع ذلك ما دامت الرواية صحيحة، فالنسبة تعتبر أمراً يتجاوز عنه ولا سيما أن الكثير من القواعد اللغوية والنحوية قامت على شعر مجهول النسبة.

٢ ـ المثنى ولغة بلحارث بن كعب:

المعروف عند النحويين جميعاً أن المثنى يرفع بالألف، وينصب ويجر بالياء.

أما أن يظل بالألف رفعاً ونصباً وجرًا، تقول: حضر المحمدان، رأيت المحمدان، نظرت إلى المحمدان فهذا مخالف لما أجمع عليه النحويون،

---

(١) انظر همع الهوامع ٢/١١٦- ١١٧، وشرح الأشموني ١/٢٥٥.

ولكنها مخالفة مقبولة لأنها وردت عن لهجة قبيلة معروفة وهي قبيلة بلحارث بن كعب، ويضيف إليها الرواة قبيلة خثعم، وزبيد، وكنانة وبعض القبائل الأخرى.

معنى ذلك أنها لهجة موثقة فليست لهجة لقبيلة واحدة، وإنما هي لعدة قبائل.

وقد أيّد هذا التركيب هوبر الحارثي، وهو من قبيلة بلحارث حيث قال:

تزود منا بين أُذْناه طعنةً دَعَتْه إلى هابي التراب عقيم[1]

وظاهر هذا التركيب أيضاً بيت آخر اختلف الرواة في نسبته، فمنهم من ينسبه إلى رؤبة، ومنهم من ينسبه إلى أبي النجم العجلي، والبيت هو:

إنّ أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

وما لي أذهب بعيدا، وقد قرأ على نسج هذا التركيب خمسة قراء من القراء السبعة في قوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾[2].

أما القراء الذين قرأوا على لهجة هذه القبائل التي ذكرتها آنفاً فهم: نافع ـ ابن عامر ـ حمزة ـ عاصم ـ الكسائي[3].

وعلى الرغم من كثرة القبائل التي كانت تلزم المثنى الألف رفعاً ونصباً وجرًّا، وعلى الرغم من أن هذه اللهجة قرأ بها خمسة من القراء السبعة، وعلى الرغم من أنها مؤيدة بالشعر العربي. أقول: على الرغم من ذلك، فإن قوماً من

---

(١) الطعنة العقيم: هي التي لا تتكرر.

(٢) طه / ٦٣.

(٣) انظر الإتحاف ٣٠٤، وتفسير الطبري ١٦/ ١٣٧، والحجة لابن أبي زرعة / ٤٥٤، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٢١. وانظر أيضاً المصادر المتعدّدة لهذه القراءة في معجم القراءات القرآنية قراءة رقم ٥١٩٧.

النحويين فتنوا بالمقاييس،واستبدت بهم الأصول التي أصّلوها في قواعد النحو زعموا أن هذه القراءة لَحْنٌ، والقراءة بها لا تَجوز.

ولله درّ ابن هشام النحوي العملاق، فقد أسكت هذه الألسنة التي تنسب القراءة الصحيحة إلى اللحن، وأخرس الأقلام التي تسّطر هذا العبث والهراء حيث يقول:

«وقد زعم قوم أن قراءة من قرأ: ﴿إنّ هذان لساحران﴾ لحن، وأن عثمان رضي الله عنه قال: «إن في المصحف لحْناً ، وستقيمه العرب بألسنتها» وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه:

ـ أحدها : أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات، فكيف يقرّون اللحن في القرآن؟!! مع أنهم لا كلفة عليهم في إزالته.

ـ الثاني : أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقباح في الكلام فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف؟.

ـ الثالث : أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بألسنتها غير مستقيم، لأن المصحف الكريم يقف عليه العربي والعجميّ.

ـ الرابع : أنه قد ثبت في الصحيح أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب «التابوت»[1] بالهاء على لغة الأنصار، فمنعوه من ذلك، ورفعوه إلى عثمان رضي الله عنه، وأمرهم أن يكتبوه بالتاء على لغة قريش.

---

(١) من الآية : ﴿وقال لهم نبيهم أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم﴾ البقرة/ ٢٤٨.

ولما بلغ عمر رضي الله عنه أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ ﴿عتى حين﴾[1] (بالعين) مكان: «حتى حين» (بالحاء) على لغة هذيل انكر ذلك عليه؟ وقال: أَقْرِئ الناس بلغة قريش، فإن الله تعالى أنزله بلغتهم، ولم ينزله بلغة هذيل[2].

وقد أثبت ابن هشام أن هذه القراءة لغة بلحارث بن كعب، وخثعم وزبيد، وكنانة وآخرين[3].

على أن ابن جنّي له رأي بديع في هذه القضية، ففي فصل عقده بعنوان: «باب في العربيّ لم يسمع لغة غيره، أيراعيها ويعتمدها أم يلغيها ويطرح حكمها»؟.

ذكر أن أبا زيد سأل الخليل عن الذين قالوا: مررت بأخواك، وضربت أخواك، فقال: هؤلاء قوم على قياس الذين قالوا في: ييأس: «ياء س»، أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها قال: «يعني الخليل»: ومثله قول العرب من أهل الحجاز: يا تزن، وهم ياتعدون، فروا من: يوتزن، ويوتعدون.

فقوله: أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها يحتمل أمرين، أحدهما: أن يكون يريد: أبدلوا الياء في «ييأس»، والآخر أبدلوا الياء في: «أخويك» ألفاً، وكلاهما يحتمله القياس ها هنا، ألا ترى أنه يجوز أن يريد أنهم أبدلوا ياء أخويك في لغة غيرهم ممن يقولها بالياء، وهم أكثر العرب، فجعلوا مكانها ألفاً في لغتهم استخفافاً للألف، فأما في لغتهم هم فلا. وذلك أنهم هم لم ينطقوا قط بالياء في لغتهم، فيبدلوها ألفاً ولا غيرها. ويؤكد ذلك عندك أن أكثر العرب يجعلونها في النصب والجرّ ياءً فلما كان الأكثر هذا شاع على أسماع بلحارث

---

(١) يوسف / ٣٥.
(٢) انظر شرح شذور الذهب لابن هشام/ ٤١ ـ ٤٢.
(٣) المصدر نفسه / ٣٨.

فراعوه، وصنعوا لغتهم فيه، ولم تكن الياء في التثنية شـاذة ولا دخيلة في كلام العرب، فيقل الحفْل بها، ولا ينسب إلى بلحارث إلى أنهم راعوهـا أو تخيروا للغتهم عليها».

وابن جني يرد ردًّا حاسماً على هؤلاء الذين يقولون: إن الانتقال من النصب بالياء إلى النصب بالألف إنما حـدث بقوة القيـاس ومعنى ذلك أن اليـاء إذا لم تنقلب ألفاً يكون مردّ ذلك إلى نقص في القياس أو ضعف في التركيب.

ذلك لأن الذين ينصبون بالياء وهم الكثرة الغالبة لم يكونوا قبل الانتقال إلى الألف على ضعف من القياس لأن الياء في موضع الجـرّ والنصب إنما جـاءت لتفرق بين المرفوع والمنصوب في التثنيـة وهذا هـو القياس في التثنيـة، لأن القياس يزول أثره إذا اجتمعت أوجه الإعراب الثلاثة على صورة واحـدة أما ردّ ابن جنيّ بنصّه وفَصّه، فهو كما ورد في الخصائص على النحو التالي:

قال ابن جني:

«وإذا كان قولهم: مررت بأخـواك معلَّلًا عندهم بـالقياس،فكـان ينبغي أن يكونوا قد سبقوا إلى ذلك منذ أول أمرهم، لأنهم لم يكونـوا قبلها على ضعف قياس، ثم تداركوا أمرهم فيما بعد، فقوى قياسهم.

وكيف كانوا يكونون في ذلـك على ضعف من القياس، والجمـاعة عليـه؟ أفتجمع كافة اللغات على ضعف ونقص حتى ينبغ نابغ منهم، فيردَ لسـانه إلى قوة القياس دونهم!

نعـــم، ونحن أيضاً نعلم أن القياس مقتض لصحة لغة الكافة وهي الياء في موضوع الجر والنصب، ألا ترى أن في ذلك فرقاً بين المرفوع وبينهما، وهذا هو القياس في التثنية، لما كان موجوداً في الواحـــد.

ويؤكده لك أنا نعتذر لهم من مجيئهم بلفظ المنصوب في التثنية على لفظ المجرور.

وكيف يكون القياس أن تجتمع أوجه الإعراب الثلاثة على صورة واحدة؟ ثم قال ابن جنّي: «فقد علمت بهذا أن صاحب لغة قد راعى لغة غيره، وذلك لأن العرب، وإن كانوا كثيراً منتشرين، وَخَلْقاً عظيماً في أرض الله غير متحجِّرين، ولا متَضَاغِطين، فإنهم بتجاوزهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة، فبعضهم يلاحظ صاحبه، ويراعي أمر لغته، كما يراعي ذلك من مُهِمّ أمره، فهذا هذا.

وإن كان الخليل أراد بقوله: تقلب الياء ألفاً: أي في «ييأس».

فالأمر أيضاً عائد إلى ما قدمنا، ألا ترى أنه إذا شبه: مررت بأخواك بقولهم: ييأس، و«ياء س» فقد راعى أيضاً في مررت بأخواك لغة من قال: «مررت بأخويك، فالأمران إذاً صائران إلى موضع واحد، ولهذا نظائر في كلامهم»[1].

** .. ** .. **

(١) انظر هذه النصوص في الخصائص ٢/ ١٤، ١٥، ١٦.

عدة قضايا تركيبية بين لهجتي الحجاز وتميم :

لا نستطيع أن تستوعب القضايا النحوية التركيبية في إطار لهجتي الحجاز وتميم من خلال الدراسات النحوية، لأن القضايا كثيرة والخلافات متعددة، وإنما نكتفي فقط بذكر عدة نماذج لتضيء الطريق أمام الدارسين لهاتين اللهجتين.

من هذه النماذج :

١ ــ «ما النافية» بين لغتي الحجاز وتميم :

أورد ابن جني هذه القضية في كتابه «الخصائص» مقارناً بين لهجتي أو لغتي تميم والحجاز فعنده أن لغة تميم أقوى قياساً، وإن لم تكن أكثر استعمالاً، لأن القرآن الكريم نزل بلغة الحجاز في أسلوب «ما» النافية في قوله تعالى: ﴿ما هذا بشراً﴾[١] حيث عملت «ما» النافية عمل ليس في رفع المبتدأ ونصب الخبر، على حين يهملها بنو تميم فلا تعمل في الجملة الاسميّة التي بعدها.

وقارن ابن جني بين اللهجتين، فقال مبيّناً قياسية التميمية بقوله: «وإنما كانت التيمية أقوى قياساً من حيث كانت عندهم كـ«هل» في دخولها على الكلام مباشِرَةً كلَّ واحد من صدري الجملتين: الفعل والمبتدأ كما أنَّ «هل كذلك».

ثم بين أن «ما» العاملة الحجازية أكثر استعمالاً بقوله: «إلا أنك إذا استعملت أنت شيئاً من ذلك فالوجه أن تحمله على ما كثر استعماله، وهو اللغة الحجازية، ألا ترى أن القرآن بها نزل، وأيضاً فمتى رابك في الحجازيّة ريب من تقديم خبر، أو نقض النفي فزعت إذ ذاك إلى التميمية، فكأنك من الحجازية

---

(١) يوسف / ٣١.

على حَرْدٍ، وإن كثر في النظم و«النثر»[1].

ومعنى هـذا أن الفصيح من العـرب على رأي ابن جني قد يتكلّم بـاللغـة غيرها أقوى في القياس عنده منها.

والواقع أن سيبويه كان أكثر استيعاباً وأدق عبارة من ابن جني في قضية «ما» النافيـــة.

فسيبويه يبيّن وجهة نصر التميميين في إلغاء «ما» لأنهم كما يقول:

«يجُرونها مجْرى أمّا وهل، أي لا يعملونها في شيء وهوالقياس،لأنه ليس بفعل وليس «ما» كـ «ليس»، ولا يكون فيها إضمارٌ أي أن سبب الإهمال عنـد سيبويه يرجع إلى ثلاثة أشيـــاء:

١ ــ إجراؤها مجرى أمّا وهل، وكلاهما لا يعمل.

٢ ــ «ما» ليس بفعـــل كـ «ليس».

٣ ــ «ما» لا تتحمل ضميراً كـ «ليـــس».

ومعنى ذلك أنه لا قرابة بين ليس وما إلا في شيء واحد وهو النفي والنفي لا يعمل.

وكمـــا شـــرح سيبـــويـــه وجهـــة نـــظر التميميين في الإهمـــال رأى أنـــه منالعدالةأيضاً أن يبين وجهة الحجازيين في الأعمال.

فقـــال: «وأما أهل الحجاز، فيشبهونها بـ «ليس» إذْ كان معناها كمعناها، كما شبّهوا بها«لات» في بعض المواضع وذلك مع الحين خاصة»[1].

ــ تحليل السيوطي لأسلوب «ما النافيـــة».

السيوطي متأخر عن سيبويه وابن جنّي، وله في التحليلات النحوية واللغوية باع طويل.

---

(١) الخصائص ١ / ١٢٥.
(٢) انظر الكتاب ١ / ٥٧.

فمن تحليلاته في أسلوب «ما» وأنها حرف غير مختص قوله: «ولها شبهان: أحدهما هذا ـ (أعني الشبه بالحروف غير المختصة) ـ وهو عام فيما لا يعمل من الحروف ورعاه بنو تميم فلم يعملوها.

والثاني: خاص، وهو شبهها بـ «ليس» في كونها للنفي، وداخلة على المبتدأ والخبر، وتخلّص المحتمل للحال، كما أن «ليس» كذلك.

وراعى هذا الشبه أهل الحجاز فأعملوها عملها فرفعوا بها المبتدأ اسماً لها ونصبوا بها الخبر خبراً لها، قال تعالى: ﴿ما هذا بشراً﴾[1].

هذا مذهب البصريين.

وزعم الكوفيون أن «ما» لا تعمل شيئاً في لغة الحجازيين، وأن المرفوع بعدها باق على ما كان قبل دخولها، والمنصوب على إسقاط الباء، لأن العرب لا تكاد تنطق بها إلا بالباء، فإذا حذفوا عوضوا منها النصب، كما هو المعهود عند حذف حرف الجر[2].

٢ ـ أمس:

ـ اللهجة الحجازية تبني «أمس» على الكسر مطلقاً سواء كان مرفوعاً مثل: ذهب أمسِ بما فيه، أو منصوباً مثل: اعتكفت أمسِ أو مجروراً مثل: عجبت من أمس.

وعلى هذه اللهجة الحجازية ورد بيتاً من الشعر منسوباً إلى تُبّع بن الأقرن وهو:

اليوم أعلم ما يجيء به ومضى بفصل قضائه أمسِ

---

(١) يوسف / ٣١.

(٢) همع الهوامع ٢ / ١٠٩ - ١١٠.

ـ أما اللهجة التميمية، فقد ورد فيها هذان التركيبان:

١ ـ إعرابه إعراب ما لا ينصرف مطلقاً، وهذا الإعراب لهجة لبعض بني تميم.

٢ ـ إعرابه في حالة الرفع إعراب ما لا ينصرف، وبناؤه على الكسر في حالتي النصب والجر، فيقولون: ذهب أمسُ، واعتكفت أمسِ وعجبت من أمسِ، وهذا الإعراب لهجة لجمهور بني تميم[1].

٣ ـ فعالِ علمٌ لمؤنث:

اللهجة التميمية احتفظت في العلم المؤنث الذي يأتي على وزن فعالِ بأسلوبين أو تركيبين، فالقلة منهم يعربه إعراب ما لا ينصرف مطلقاً.

وجمهورهم يفصل: فيقول: إذا كانت فعال مختومة بالراء مثل سفار: اسم لماء، وحضار: اسم لكوكب، ووبار اسم لقبيلة وظفار: اسم لبلدة فإن فعال تبنى على الكسر مطلقاً كما يفعل الحجازيون الذين يبنون فعال على الكسر مطلقاً ختمت بالراء أم لم تختم؟ وعلى لغتهم قال ديسم بن طارق أحد شعراء الجاهلية أو لجيم بن صعب:

إذا قالت حذام فصدِّقوها ... فإن القول ما قالت حذامِ

وعلى لغة بني تميم أو لهجتها قال الأعشى فجمع بين لهجتي تميم:

ألم تروا إرماً وعادا ... أودى بها الليل والنهار
وَمَرَّ دَهْرٌ على وبار ... فهلكت جمهرة وبار[2]

---

(١) انظر شرح شذور الذهب / ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، وانظر الكتاب لسيبويه ٣/٢٨٣.
(٢) وانظر ديوان الأعشى / ٧٣.

فبنى «وبار» الأولى على الكسر، وإعراب: «وبّار» الثانية[1] .

وعلق سيبـويه على لهجة الحجاز وتميم بقوله:

«فأما ما كان آخره راء، فإن أهل الحجاز وبني تميم فيه متفقون. ويختار بنو تميم فيه لغة أهل الحجاز. . . . والحجازية هي اللغة الأولى القدمى»(٢).

ونكتفي بهذا القدر من النماذج التركيبية بين اللهجتين الحجازية والتميمية لنؤكد أن هاتين اللهجتين من أكثر اللهجات انتشاراً في الجزيرة العربيـة أو بين العرب، وأن ظواهر الخلاف بينهما في مجال التعبير والتركيب ظواهر محدودة، قـد بينا بعضهـا، وليست هذه الـظواهر مستفحلة في الخـلافات التـركيبيـة بين اللهجتين، لأن بعض المسـائل الخـلافية طبعيّـة في كل لهجـة. وقد رأينـا أن اللهجة التميمية احتفظت بمستويين من التركيب النحوي في ظـاهرتي: أمس، وفعال، فهل الخلاف التميمي التميمي في مسألتين أو ثلاث يعني أن الظّواهـر اللغوية المختلفة في اللغة الواحدة تنفي الظواهر المشتركة اللغوية والنحوية في لهجة بني تميم؟.

أقول بكل تأكيد: إنها لا تنفي، فلكل قاعدة شذوذ، وليست اللهجة أو اللغة معياراً واحداً توزن به كلمات القبيلة في لهجتها. ولا أبالغ إذا قلت: إن اللهجة الواحدة قد يختلف بعض أفرادها في نطق الكلمـات لعيوب خـاصة: «كـاللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء كقولهم لأبي يكسوم: أبي يكثوم، وكما يقولون بثرة إذا أرادوا بسرة، وبثم الله إذا أرادوا: بسم الله. . . .

وكاللثغة التي تقع في الراء فإن عددها يضعف على عدد لثغة اللام: فمنهم

---

(١) انظر شرح شذور الذهب ٨٥ ـ ٨٨.

(٢) الكتـــاب ٣ / ٢٧٨.

من يقول إذا أراد عمرو: عمى، فيجعل الراء ياء، ومنهم من إذا أراد أن يقول: عمرو، قال: عمذ، فيجعل الراء ذالاً»[1].

من أجل هذا نقول: إن الخلافات القليلة طبعيّة بين اللهجات فضلاً عن الخلافات التي تقع بين أفراد اللهجة الواحدة.

على أن هناك أمراً لا بد من التنبيه عليه وهو أن الكثير من اللهجات العربية تبادلت الكلمات والأساليب، وهذا ما يطلق عليه اللغويون ظاهرة: «تقارض اللّغات: وسأعرض في النقطة التالية كيف يتم هذا التقارض؟.

** .. ** .. **

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٣٤ ـ ٣٥، بتصــرف.

خاتمـــة في
تقارض اللغات

أشار ابن جني إلى هذه الظاهرة في فصل عقده في كتابه «الخصائص» بعنوان: «بـاب في العربي يسمع لغة غيره أيـراعيها ويعتمـدها أم يلغيهـا ويطرح حكمها؟» وقد أشرت إلى هذا من قبل ونقلت منه فقرات اعتمدت عليها في لغة بلحارث التي تلزم المثنى الألف في أحوال الإعراب، والذي أقرره هنا أن ابن جني كان خبيراً بقوانين احتكاك اللغات بعضها ببعض قبل أن تظهر الدراسـات اللغوية الحديثة بقرون عدة.

استمع إلى ابن جني يقرر هذه الظاهرة ظاهـرة الاحتكاك اللغـوي بقولـه: «فقد علمت بهذا أن صاحب لغة قد راعى لغة غيره، وذلك لأن العرب وإن كانوا منتشرين، وَخَلْقاً عـظيماً في أرض الله غيـر محتجزين، ولا متضـاغطين فـإنهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعـة في دار واحدة فبعضهم يلاحظ صاحبه، ويراعي أمر لغته كما يراعي ذلك من مُهِمّ أمره فهذا هذا»[1].

ومـعـنـى هـذا أن هـنـاك تـأثـيـراً وتـأثُّـراً، قد تنطق قبيلة صيغة من الصيغ بالأداء الذي تـؤديـه قبيلة أخـرى، وقـد تستعمل

(١) الخصائص ٢ / ١٦.

تركيباً نحـويًّا كمـا تستعمله قبيلة أخرى، وإن لم يكن هـذا الاستعمال وارداً في لغتها أو لهجتها، وهذا ما يسمى بالتقارض اللغوي.

ويضرب ابن جني بعض الأمثلة في الخصائص على هذه الظاهرة.

ـ من هذه الأمثلـــــة :

ـ حذف بني تميم ألف «ها» من قولهم هلُمّ، لأن أهل الحجاز حذفوها.

ومن الأمثلة أيضـــــاً :

قول بعضهم في الوقف: «رأيت رجلأ» بالهمزة، فهذه الهمزة بدل من الألف في الوقف في لغة من وقف بالألف، لا في لغته هو، لأن من لغته هو أن يقف بالهمـــزة.

أفلا تراه كيف راعى لغة غيره، فأبدل من الألف همزة»[1].

ـ ومن تقارض اللغات ما ذكرته آنفاً في العلم المؤنث إذا كـان وزن فعال فإن بني تميم يختارون لغة الحجاز إذا كان آخره راء[2].

ـ وأقـوى الأمثلة على التقارض في اللغـات مـا ذكـره ابن جنّي أيضـاً في باب: «في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً».

وضرب ابن جني أمثلة على ذلك منهـــــا:

قول لبيــــد:

سقى قــومـي بنـي مجــد وأسـقى   نُـمَـيــراً والـقـبــائـل مـن هـــلال

---

(١) الخصائص ٢ / ١٥ـ ١٧، وانظر سيبويه في باب الوقف في الهمز ١٧٧/٤.

(٢) سيبويه ٣ / ٢٧٨.

وقـــــال:

أمــا ابن طَوْق فقـد أَوْفَــى بِـذِمّتِــه　　كما وَفى بقلاص النجم حـاديها[1]

وقـــــال:

فَـظَلْتُ لـدى البيت العتيق أُخيلهُــو　　ومِـسطْواي مشتاقان لـــهْ أرِقــان[2]

فهاتان لغتان : أعني إثبات الواو في «أخيلهو» وتسكين الها في قوله :له، لأن أبا الحسن زعم أنها لغـة لأزدالسّراة وإذا كـان كذلـك فهما لغتـان، وليس إسكان الهاء في «لهْ» عن حذف لحق بالصنعة الكلمةِ، لكن ذاك لغة»[3].

وفي خزانة الأدب للبغدادي أمثلة واضحة لهـذا التقارض اللغـوي فـ «ما» التميمية والحجازية ـ وقد سبق ذكرها من قبـل ـ أورد البغدادي أنـه «حكى القراء عن كثير من أهل نجد: أنهم يجرون الخبر بعد «ما» بالباء، وإذا أسقطوا «البـاء رفعوا».

قال ابن مالك: وهذا دليل واضح على أن دخول الباء جائزة للخبر بعد «ما» لا يلزم منه كون الخبـر منصوب المحـلّ، وإن كان المتكلم بـه حجازيّـاً، فإن الحجـازي قد يتكلّم بغيـر لغته، وغيـره يتكلم بلغتـه إلا أن الـظاهـر أن محـل المجرور نصبٌ إن كان المتكلم حجازياً، ورفعٌ، إن كان تميمياً أو نجدياً.

قـــال : فمن دخول اللغة التميمية في الحجازية كسر هاء الغائب بعد كَسْرة

---

(١) قائله طفيل الغنوي، ديـوانه/ ١١٣، وفي هـامش الخصائص: قـلاص النجم في زعم العرب: عشرون نجماً.

(٢) وفي هامش الخصائص قائله يعلى الأزدي، وكان لصًا، يتحدث عن برق شاقه وهاجه إلى وطنـه، وأخيله ـ أنظر إلى مخيلتـه، ودنو مطره، ومطواي: تثنيـة مطو، وهـو الصاحب والنظير، هامش الخصائص ١/ ٣٧٠.

(٣) الخصائص ١ / ٣٧٠.

أو ياءٍ ساكنة، وإدغام نحو: ﴿ولا يضارّ كاتب ولا شهيد﴾[1]، ورفع ﴿الله﴾ من قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا اللهُ ﴾[2]، لأن اللغة الحجازية: «بِهُ»، و«فيهُ» بالضم، «ولا يضارر» بالفك، و«إلا اللهَ» بالنَصب، لأن الاستثناء منقطع[3].

قال: وإذا جاز للحجازيّ أن يتكلّم باللغة التميمية جاز للتميميّ أن يتكلم باللغة الحجازيّة، بل التميمي بذلك أولى لوجهين:

أحدهما: أن الحجازية أفصح، وانقيادُ غير الأفصح لموافقة الأفصح أكثر وقوعاً من العكس.

والثاني: أن معظم القرآن حجازي والتميميون متعبدون بتلاوته كما أنزل ولذلك لا يقرأ أحد منهم: ﴿ما هذا بشرٌ﴾[4] إلا من جهل كونه منزّلاً، هذا ما قاله»[5].

هذا النص الذي ذكره البغداديّ في خزانته نقله عن الشاطبي الذي نقله عن ابن مالك.

وهو نصٌّ يحتاج إلى نظر وتدقيق، وبيان ذلك:

أنه لا يشك أحد فيما أورده ابن مالك من تقارض اللغات فهي ظاهرة أوضح من الشمس في رائعة النهار بالنسبة للكلمات أو الأساليب المتقارضة.

ولكن الذي نشك فيه هو ما أورده ابن مالك في الشق الأخير من النّص وهو

---

(١) البقرة / ٢٨٢.

(٢) النمل / ٦٥.

(٣) وهذه ليست قراءة، وإنما هو جواز نحوي في غير القرآن الكريم.

(٤) يوسف / ٣١.

(٥) الخزانة / ١٤٣.

«أن معظم القرآن حجازيّ والتميميون متعبدون بتلاوته كما أنزل ولذلك لا يقرأ أحد منهم: ﴿ما هذا بشر﴾.

أقول: كيف يصدر هذا الحكم من ابن مالك وهو العلامة النابغة المستوعب للقراءات القرآنية والتراكيب النحوية، والشواهد الشعرية؟.

وقد قال عنه صاحب «شذرات الذهب»: «صرف همه إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية، وحاز قصب السبق، وأربى على المتقدمين وكان إماماً في القراءات وعللها، وأمّا اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها، والاطّلاع على وحشيها.

وأما النحو والتصريف فكان فيه بحراً لا يجارى، وحَبْراً لا يبارى.

وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو، فكان الأئمة الأعلام يتحيرون منه، ويتعجبون من أين يأتي بها»[1].

ويقول عنه ابن الجرزي: «أنه كان يجلس في وظيفة مشيخة الإقراء بشباك تربة العادلية، وينظر من يحضر يأخذ عنه، وكان يقول:

القراءات القراءات، العربية العربية[2]، يريد بذلك أن يخلي ذمته، ويريح ضميره حتى لا يكون مقصّراً في نشر العلم والمعرفة[3]. إنه لأمر عجيب حقّاً أن يكون ذلك حُكم ابن مالك على قراءة: ﴿ما هذا بشر﴾.

ومناقشتنا لابن مالك تتلخص في أن الموقف يقتضي أن القرآن الكريم في هذه الآية جاء بلهجة أو لغة الحجاز فقط في إعمال «ما» عمل ليس فـ «هذا»

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد ٥ / ٣٣٩.

(٢) غاية النهاية لابن الجزري ٢ / ١٨٠.

(٣) نظر المدرسة النحوية في مصر والشام للدكتور/ عبد العال سالم مكرم/ ١٦٤.

اسمها، و«بشــراً» خبرها المنصوب ولم يَدْرِ ابن مالك من خلال هذا النص أن القرآن الكريم أيضاً نزل بلهجة تميم أو لغتها في هذه الآيـــة :

فقد قرىء : ﴿ما هذا بشر﴾ بالرفع على إلغاء «ما» وفق التركيب التميمي، وقد قرأ بذلك ابن مسعود، ففي تفسير الفخر الرازي : ومن قرأ على لغة تميم قرأ: : «ما هذا بشر» وهي قراءة «ابن مسعود»[1].

وفي البحر المحيط لأبي حيان : «قال الزمخشريّ» ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ : «بشر» بالرفع، وهي قراءة ابن مسعود»[2].

وبعـــد ، فلا شك أن اللهجات العربيّة قبل الإسلام تفاعلت، واختلطت بعضها ببعض وتكوّن من هذا الاختلاط لغة أدبية فصيحة، فيها الكثير من ألفاظ اللهجات العربيّة وتراكيبها مما جعلها فيما بعد اللهجة، أو اللغـة الأدبية النموذجية التي جرى على نسجها الشعر الجاهلي، والتي تهيأت بعد أن بلغت القمـة في سمو تراكيبها، ودقة معانيها، وروعة أساليبها أن تستقبل القرآن الكريم لينتقـل بها في العصر الإسلامي إلى لغة حية استوعبت حضارة الإنسان، بفضل القرآن الكريم الذي هو «آيات منـزلة من حـول العرش فـالأرض بها سمـاء، هي منها كواكب، بل الجند الإلّهي قد نشر له من الفضيلة عَلَم، وانضوت إليه من الأرواح مواكب، أغلقت دونه القلوب فاقتحم أقفالها، وامتنعت عليه أعراف الضمائـر: فابتزّ أنفالها[3]. وكم صـدوا عن سبيله صدًّا، ومن ذا يـدافع السيـل إذا هدر،

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٨/ ١٢٩ .

(٢) البحر المحيـط ٥ / ٣٠٤.

(٣) يفسر الرافعي في هامش إعجاز القـرآن: الأعراف بـالأمكنة العـالية وهي جمـع عرف، والأنفال: الغنائم، والمراد أن ضمائر العرب امتنعت على القرآن بما استوعر فيـه من العادات والأخلاق، فنفذ إليها وابتزها، وغلبها على أمرها.

ولعمري من يَرُدّ على الله القدر»(١).

وإلى هنـا ننتهي من هذه الـرحلة اللغويـة والنحويـة في العصر الجـاهلي لإماطة اللثام عن كثيـر من القضايا،وكشف الغطاء عن كثير من الظواهر، ولعلّي قد فعلـــــــت..

والله الموفـــــــق .

** .. ** .. **

(١) انظر إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي / ٢٩.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

Linguistic Remarks on Arabic Language during Pre - Islamic Period

During reading Pre - Islamic poetry, I noticed that the word «Arab» in its national meaning has no single evidence in this poetry.

This observation was so surprising that it encouraged me to read and examine the Arabic Language in it ancient ages.

My study deals with four points which are:

1 — The meaning of the word «arab» from historic and linguistic points of view. Despite the refusal of some scolars, I reached a conclusion that the word «arab» in Pre - Islamic period meant: «race» or «nation».

2 — The variations of Arabic dialects in Pre - Islamic period and the factors which caused them I also gave different examples of some linguistic phenomens found in these dialects such as meaning, form, silence and total assimilation.

3 — Some grammatical and structural phenomena in which Arabic dialects are different. I gave evidences that these sorts of differences are not great and did not cause dialectical independence.

4 — My study also gave attention to grammatical and linguistic phenomena of barrowing. It proved that it was very movement, and that it has so great influence on dialects that it paved the may to Arabic dialects to be united in the form of common literary language which became quslified to carry out the needs of the Koran.

A.S. MAKRAM.

المصادر والمراجـــع

١ ــ إتحاف فضلاء البشـر : للشيخ أحمـد بن محمد البنـا ، مخطوط رقم ٧٣ ـ قراءات ـ دار الكتب المصرية .

٢ ــ الإتقان للسيوطي : مطبعة الحلبي ، طبعة ثالثة .

٣ ــ أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية : د/ عبد العال سالم مكرم .
طبعة أولى : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٩٧٠ .
طبعة ثانية : مؤسسة الصباح ١٩٧٨ بالكويت .

٤ ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الجزري ، طبعة ١٢٨٦ م .

٥ ــ الأشباه والنظائر للسيوطي : في تسعة مجلدات ، تحقيق الدكتور/ عبد العال سالم مكرم ، دار الرسالة ـ بيروت ١٩٨٦ م .

٦ ــ إعجاز القرآن : للرافعي ، مطبعة الاستقامة ، طبعة سادسة .

٧ ــ البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي ، مطبعة السعادة ـ طبعة أولى .

٨ ــ البحـوث والمحاضـرات (مؤتمر ١٩٦١ ـ ١٩٦٢) مجمـع اللغـة العـربيـة بالقاهرة .

٩ ــ البيان والتبيين : للجاحظ ، تحقيق الأستاذ هارون ، طبعة ثانية ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة .

١٠ ــ تاج العروس : للسيد/ محمد مـرتضى الحسيني الزبيـدي (سلسلة التراث العربي) ـ وزارة الاعلام بالكويت .

١١ ــ تاريخ الأدب الجغرافي:لكراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان ـ نشر الإدارة الثقافية في الجامعة العربيـــة.

١٢ ــ التعريفات: للسيد الشريف علي بن محمد الجرجـاني ـ مطبعـة الحلبي سنة ١٩٣٨.

١٣ ــ تفسير الألوسي ـ دار إحياء التراث العربي ـ (بيروت).

١٤ ــ تفسير الطبري ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.

١٥ ــ تفسير الفخر الرازي ـ دار الكتب العلمية ـ طهران.

١٦ ــ التوراة ـ طبع بيـــروت.

١٧ ــ الجمهرة: لابن دريد ـ دار صادر بيروت.

١٨ ــ الحجة: لأبي زرعة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١٩ ــ الحلقة المفقودة في تاريخ النحوالعربي :للدكتور/ عبد العال سالم مكرم. مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع ـ الكويت.

٢٠ ــ الحياة العربية من الشعر الجاهلي:للدكتور/ أحمد الحوفي ـ مطبعة نهضة مصر بالفجالـة.

٢١ ــ خـزانـة الأدب: للبغـدادي، تحقيق الأستـاذ عبـد السـلام هـارون ـ نشـر الخانجي.

٢٢ ــ الخصائص: لابن جني، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ـ دار الهدى للطباعة والنشـــر ـ بيـــروت.

٢٣ ــ ديوان الأعشى: دار الكاتب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٢٤ ــ ديوان امرىء القيس ـ دار صادر، بيروت.

٢٥ ــ ديوان عنترة ـ دار الفكر ـ بيروت.

٢٦ ــ ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد الطاهر بنعاشور ـ الشركة التونسية للتوزيع.

٢٧ ــ ديوان الهذليين ـ الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة.

٢٨ ـ شذرات الذهب لابن العماد طبع ١٩٣٥ م .
٢٩ ـ شرح أشعار الهذليين:للسكري ، تحقيق الأستاذ عبد الستار فرج، مكتبة دار العروبة ـ بالقاهرة .
٣٠ ـ شرح الأشموني ـ دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى الحلبي ، القاهرة .
٣١ ـ شرح ديوان زهير ـ المكتبة الثقافية ـ بيروت .
٣٢ ـ شرح الرّضى على الكافية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .
٣٣ ـ شرح المفصل: لابن يعيش ـ عالم الكتب ـ بيروت .
٣٤ ـ الصاحبي: لأحمد بن فارس،تحقيق السيد أحمد صقر ، طبع عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة .
٣٥ ـ طبقات الشعراء: لابن سلام الجمحي ، دار المعارف بالقاهرة .
٣٦ ـ العقد الفريد: لابن عبد ربه ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .
٣٧ ـ علم اللغة: للدكتور علي عبد الواحد وافي ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر .
٣٨ ـ غاية النهاية في طبقات القراء: لابن الجزري ـ نشر برجستراسر ـ مطبعة السعادة .
٣٩ ـ فقه اللغة : للدكتور / علي عبد الواحد وافي ـ طبعة سادسة ـ دار نهضة مصر .
٤٠ ـ في الأدب الجاهلي:للدكتور / طه حسين ـ مطبعة دار المعارف .
٤١ ـ الفيصل في تاريخ العرب : للدكتور/ جواد علي .
٤٢ ـ القاموس المحيط : للفيروز آبادي ـ طبعات مختلفة .
٤٣ ـ القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية : دار المعارف ـ طبعة أولى ، ومؤسسة الصباح بالكويت ـ طبعة ثانية .

٤٤ ـ كتاب البئر: لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي. تحقيق الدكتور/ رمضان عبد التواب ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
٤٥ ـ كتاب الجيم: لأبي عمر الشيباني، تحقيق إبراهيم الأبياري.
٤٦ ـ الكتاب: لسيبويه، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ـ دار القلم والهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤٧ ـ اللسان: لابن منظور ـ الدار المصرية العامة للتأليف والنشر.
٤٨ ـ اللغات في القرآن: لابن حسنون ـ تحقيق الدكتور صلاح المنجد. الطبعة الثانية ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت.
٤٩ ـ لغات القبائل: لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق الدكتور عبد الحميد طلب ـ مطبوعات جامعة الكويت.
٥٠ ـ مجلة الأزهر ـ إصدار الأزهر.
٥١ ـ مجلة اللسان العربي. إصدار المكتب الدائم للتّنسيق والتعريب بالرباط.
٥٢ ـ المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة: للدكتور / عبد العال سالم مكرم ـ دار الشروق ـ بيروت.
٥٣ ـ المزهر: لجلال الدين السيوطي ـ طبعة ثانية ـ الحلبي.
٥٤ ـ معجم القراءات القرآنية: تأليف الدكتور أحمد مختار، د/عبد العال سالم مكرم.
٥٥ ـ من الدراسات القرآنية: للدكتور/ عبد العال سالم مكرم ـ مؤسسة الصباح للنشر بالكويت.
٥٦ ـ المنصف: لابن جني، تحقيق الأستاذ إبراهيم مصطفى، والأستاذ/ عبد الله الأمين ـ مطبعة مصطفى الحلبي.
٥٧ ـ مولد اللغة: للشيخ أحمد رضا العاملي ـ نشر دار مكتبة الحياة ـ بيروت.
٥٨ ـ النابغة الذبياني دراسة لغوية: للأستاذ عاهد سعود الماضي ـ رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة كلية الآداب ـ جامعة الكويت.

٥٩ ــ نشأة اللغة عند الإنسان والطفل : للدكتور / علي عبد الواحد وافي، مكتبة غريب ـ القاهـــرة .

٦٠ ــ نقض كتاب «في الشعر الجاهلي» للشيخ محمد الخضر حسين ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة .

٦١ ــ همع الهوامـع شرح جمـع الجوامـع : الجزء الأول، بتحقيق الأستـاذ عبد السلام هارون والدكتور/ عبد العال سالم مكرم، والأجزاء الأخرى بتحقيق الدكتور / عبـد العال سالم مكرم .

** .. ** .. **

فهرس البحث

الفصل الأول

الدلالة التاريخية واللغوية لكلمة عرب

الفصل الثاني

الفصل الثالث

من الظواهر اللغوية في اللهجات العربية ٥٩ ـ ٨٩

الفصـــل الرابع

من الظواهر النحوية أو التركيبية في اللهجات العربية ٨٩ ـ ١٠٥

خاتمـــة في تقارض اللغات